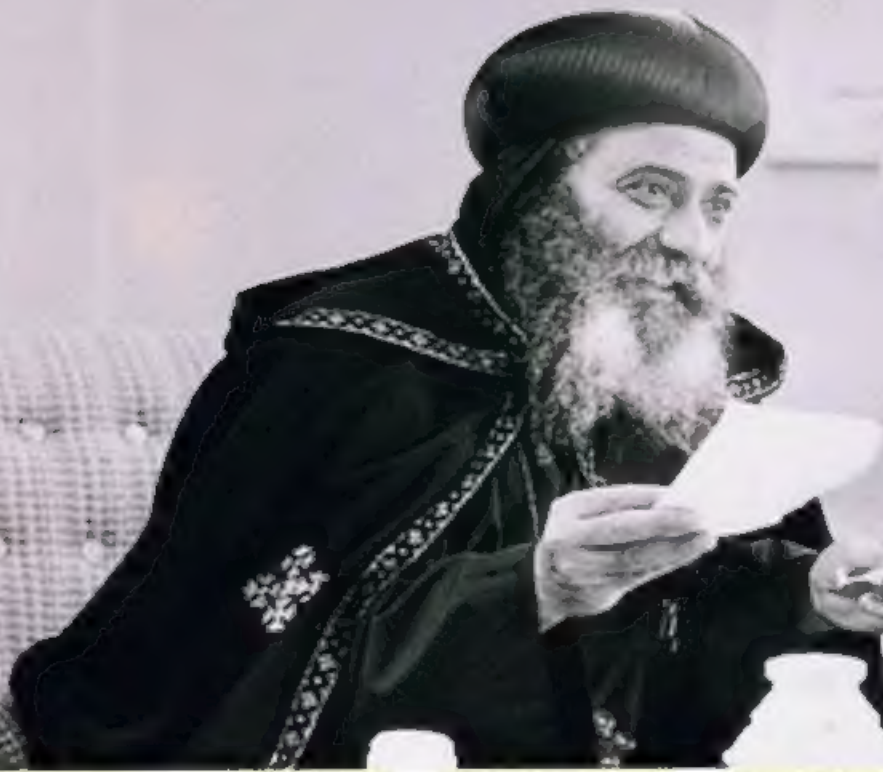


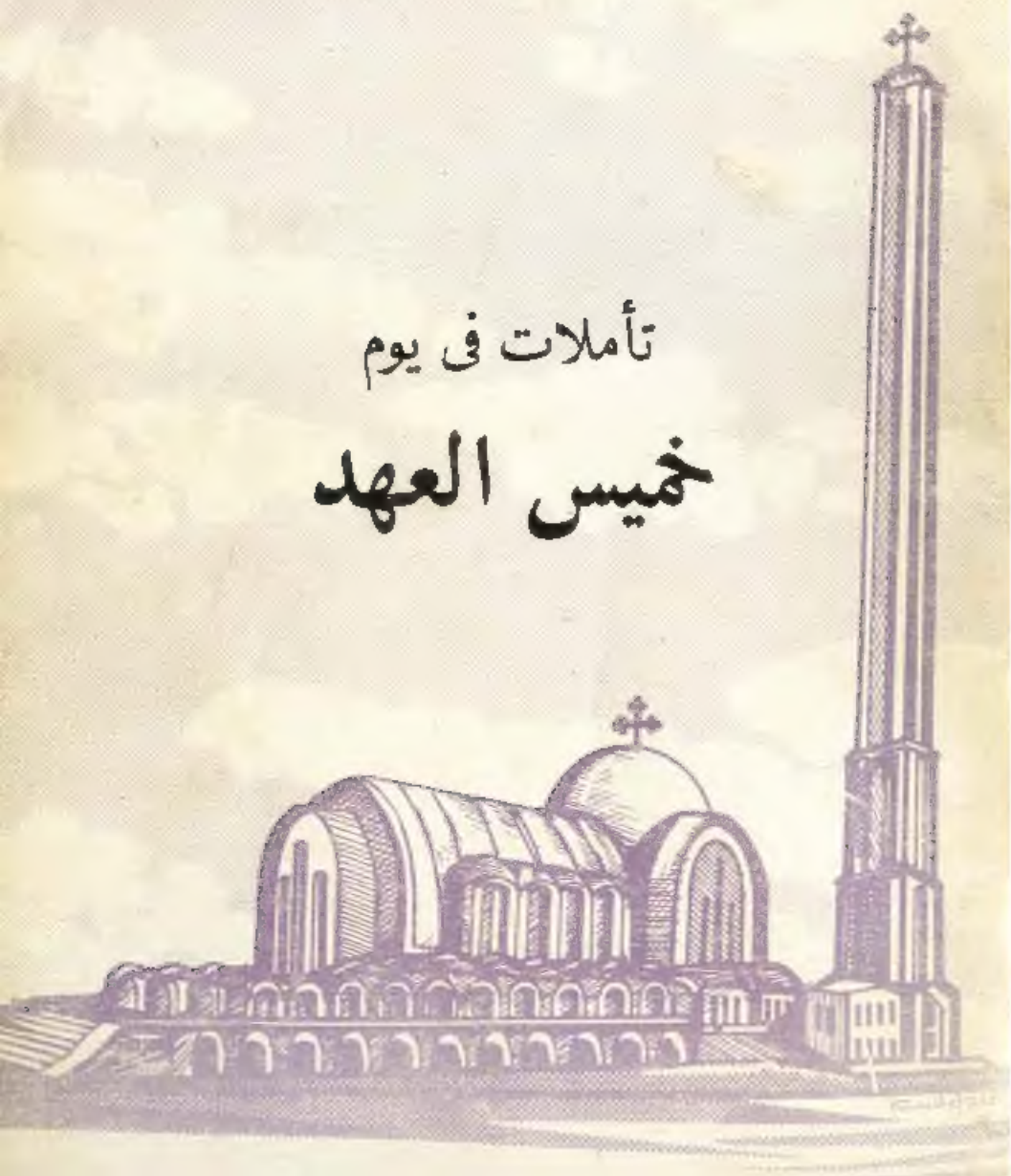
كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

البابا شنوده الثالث

تأملات في يوم
خميس العهد



البابا شنوده الثالث

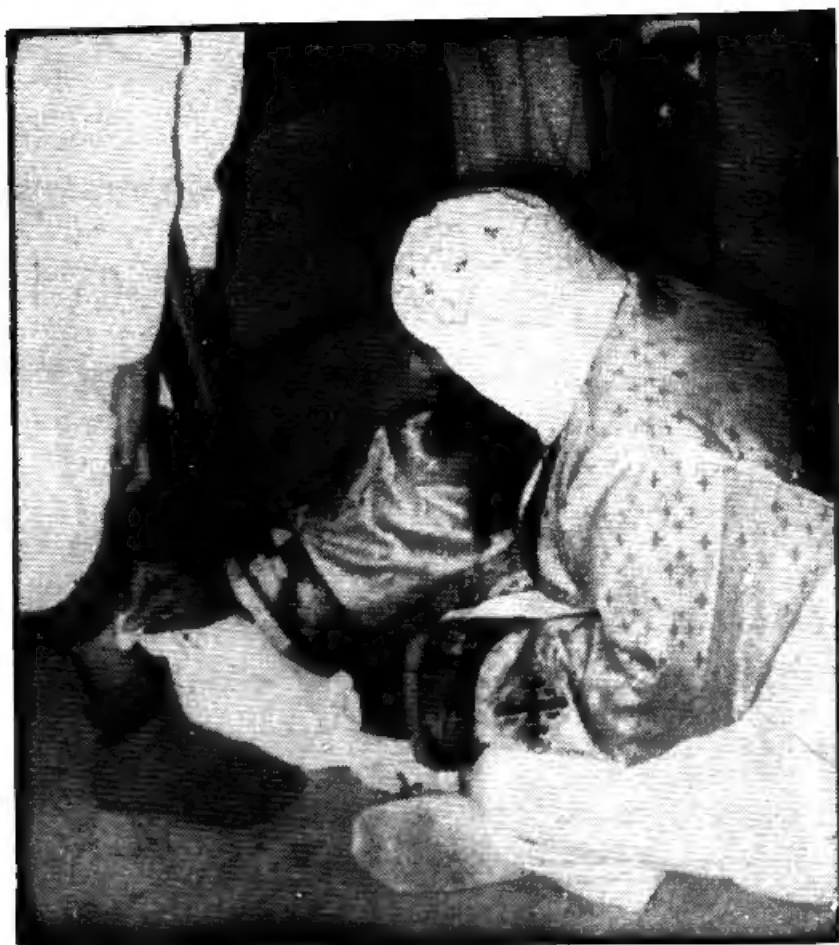
تأملات في يوم

خميس العهد

Contemplations On
The Good Thursday
by H.H. Pope Shenouda III

1 st Print
April 1982

الطبعة الأولى
إبريل ١٩٨٢



قداسة البابا شنودة الثالث

مقدمه

يوم خميس العهد من الأيام الهامة جداً في الكنيسة .
وأهم أحداث هذا اليوم العظيم ثلاثة أمور .

١ - غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه ...

وتحتفل الكنيسة بهذا الحدث الهام ، بصلاة اللقان . ثم يغسل رئيس
الكهنة ، أو الكاهن الخديم ، أرجل الشعب .

٢ - تأسيس السيد المسيح لسر الإفخارستيا :

وتحتفل الكنيسة به ، بأن تقيم القداس الإلهي لأول مرة خلال
البصخة . ويتناول غالبية الشعب عادة ، مستعدين لذلك بالتوبة
والإعتراف .

٣ - إهتمام الرب بتلاميذه ، وخطابه الوداعي لهم ، وصلاته
لأجلهم .

وفي هذا الكتيب نقدم لك عظات عن هذه الموضوعات الثلاثة ألقيت
في الكاتدرائية الكبرى خلال السنوات من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٩ .

ونرجو في المستقبل ، إن أحيانا الرب وعشنا ، أن نجتمع لك في مجلد
كبير كل ما ألقيناه من عظات في أسبوع الآلام ، راجين لكم بصخة
مقدسة ،،،

شنوده الثالث

فهرست

صفحة

- مقدمة ٥
- فهرست ٦
- تأمل في آلام المسيح ٧
- من محاضرة ألقىت في أواخر الستينات ونشرت في كتابنا (المسيح المتألم) في
إبريل ١٩٧٠ ، وقد نفذت طبعته .
- عظة عن اللقان ٢٣
- ألقىت بالكاتدرائية المرقسية الكبرى يوم خميس العهد ١٩٧٨ .
- التوبة والتناول ٣٩
- عظة بمناسبة يوم الخميس الكبير وتأسيس سر الإفخارستيا .
- إهتمام الرب بتلاميذه ٥٥
- محاضرة ألقىت بالكاتدرائية المرقسية الكبرى مساء الخميس ١٩٧٩/٤/٢٠ .
- جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه ٦٣
- من عظة ألقىت في كنيسة مارجرجس بالجيزة يوم ١٩٧١/٤/٣ .



تأمل في آلام المسيح

البعض يتكلم عن أسبوع الآلام ، كما لو كانت آلام المسيح محصورة في هذا الأسبوع ! أو كما لو كانت آلامه قاصرة على الصليب ، أو على الآلام السابقة للصليب ، مثل الجلد والضرب وحل الصليب ، والبصاق والإهانة والإستهزاء وعبارات التحدى الجارحة وشهادة الزور...

كلا ، فإنَّ الأُم شمل حياة المسيح كلها .

لم يكن ألمه مجرد أسبوع ، وإنما كان طوال فترة خدمته وقبلها أيضاً ، ومنذ ميلاده . بل أن الوحي الإلهي قد لخص حياة الرب بالجلسد ، في تلك العبارة العميقة المركزة ، التي وصفه فيها بأنه :

« رجل أوجاع ومغتر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) .

وقيل عنه أيضاً أنه « تألم مجرباً » (عب ٢ : ١٨) . وأصبح عمق الحياة الروحية هو أن « نتألم معه » (رو ٨ : ١٧) أو ندخل في « شركة آلامه » (في ٣ : ١٠) . فكل ألم من أجل البر ، يعتبر شركة في آلام المسيح .

وقيل عن المسيح إنه حزن واكتأب وبكى .

قيل إنه حزن واكتأب (مر ١٤ : ٣٣) . وقد قال في البستان « نفسي حزينة جداً حتى الموت » (مت ٢٦ : ٣٨) . ويكنى ما قيل في أحزانه إن « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) أي أن كل أحزان البشرية وأوجاعها قد وضعت على كتفيه ، وصارت مشاعر في قلبه ...

وقد ورد في الإنجيل أكثر من مرة إنه بكى . لقد بكى على اورشليم (لوقا : ١٩ : ٤١) وهويذكر ما سيصحبها من أعدائها ، وبكى عليها أيضاً لأنها لم تعرف زمان افتقادها .

وكذلك بكى عند قبر لعازر ، الذي قالت عنه اخته أنه قد أنتن لأن له أربعة أيام (يو : ١١ : ٣٩ ، ٤٠) . بكى وهويذكر كيف أنه بالخطية دخل الموت إلى العالم ، وملك على الإنسان الذي خلق على صورة الله ... وأصبح ممكناً أن هذا الإنسان ينتن ... !

ذاق المسيح الألم ، حتى من يوم مولده .

ولد في يوم من أشد أيام الشتاء برودة ، في مكان رطب هومزود بقر ، إذ لم يكن لأمه موضع في البيت (لوقا : ٧) .

وبذل هيرودس كل جهده وحيلته ليقتله ، حتى أنه قتل كل أطفال بيت لحم ، لعله يكون من بينهم ! واضطرت العذراء أن تهرب به إلى مصر . ثم عادت « بعد أن مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي » (مت : ٢ : ٢٠) . وقضى المسيح فترة صباه وشبابه مجهولاً ، في بيت نجار فقير دعى أباً له ، فلم يعرف العالم عن هذه الفترة شيئاً .

وعاش المسيح فقيراً ، يتحمل الضيق لأجلنا .

لم يمش مطلقاً في الطريق الرحب ، بل عاش حياة كلها ألم ، سواء من جهة الجسد ، أو من جهة النفس .

لم يكن له بيت يستند فيه رأسه . ولم يكن له مال ، حتى عندما طلبت منه الجزية ، لم يكن له ما يعطيه .

جرب التعب ، وجرب أيضاً الجوع والعطش .

وكمثال لتعبه ، قيل إنه تعب من مشقة وطول الطريق ، وقد مشى مسافات طويلة لكي يخلص المرأة السامرية . وقال الكتاب في ذلك « فإذا كان يسوع قد تعب هكذا من السفر ، جلس على البئر . وكان نحو الساعة السادسة (في الظهر تماماً) (يوحنا : ٦ : ٤) .

وكما جرب المسيح التعب ، جرب الجوع . وحينما نقول الجوع ، لا نقصد الجوع العادي ، كأن يتأخر إنسان ساعة عن موعد أكله ، فيقال إنه جاع ! كلا ، بل حينما قيل عن المسيح أنه جاع على الجبل ، كان المقصود آخر ما يمكن أن تحتمله الطاقة البشرية في الإمتناع عن الأكل . لذلك حسناً قيل إنه « جاع أخيراً » (مت : ٤ : ٢) أخيراً ، بعد صوم إستمر أربعين يوماً .

ولما قيل إنه عطش على الصليب ، كان المقصود به عطشاً لا يحتمل ، بعد أن تصبى تقريباً ما في جسده من دم ومن ماء ...

أما عطشه وجوعه عند بئر السامرة ، فلم يقل الكتاب وقتذاك أنه شرب ماء . ومن جهة الطعام ، لم يأكل وقال « طعمني أن أفعل مشيئة الذي أرسلني » (يوحنا : ٤ : ٣٤) . ولم يقل الكتاب في تلك المناسبة إنه جاع أو عطش . إنه جوع عادي ، وعطش عادي ، يعبر الكتاب عنها ...

وفي خدمة المسيح ، جابه ألماً آخر ، هو ألم الرفض :

إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله « (يوحنا : ١١ : ١١) كان نوراً للعالم ، وهذا النور أضاء في الظلمة ، والظلمة لم تتركه » (يوحنا : ١ : ٥) . إنه أمر مؤلم

حقاً ، أن المور جاء إلى العالم ، ولكن أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة (يوحنا : ١٩ : ١٩) . وتحققت في الرب نبوة المزمور « رفضوني أنا الحبيب مثل الميت المذلول » (مز : ٣٧ : ٢) .

عاش يعامل الناس بالحب ، ولا يجد حياً مقابل حبه .
لم يجد محبة تماثل محبته ، ولا معاملة طيبة تماثل معاملته الطيبة للناس . والعبارة التي قيلت عنه إنه لم يجد موضعاً يستند فيه رأسه (مت : ٨ : ٢٠) ، كما نفهمها من الناحية المادية، الحرفية ، نفهمها أيضاً من الناحية العاطفية كذلك . فقد عاش الرب وسط أشخاص جاحدين ، ناكرين للجميل ، ناكرين للحب .

ذهب مرة إلى بلدته بيت لحم ، فرفض أهلها أن يقبلوه .
لم يؤمنوا به ، بل قائلوه باستهزاء وباحتقار قائلين « أليس هذا هو ابن النجار ؟ ! من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ ! فكانوا يُعشرون به » (مت : ١٣ : ٥٤-٥٨) حتى قال لهم الرب : ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته ...

وذهب إلى أحد قرى السامرة ، فأغلقت أبوابها في وجهه .
حتى غضب تلميذاه لهذا الأمر ، أما هو فاحتمل السامرة بحب كبير وصبر طويل إلى أن تمكن من دخولها فيما بعد والعمل على خلاصها . ولما رأى ثمار تعبه في السامرة ، قال لتلاميذه : أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه (يوحنا : ٤ : ٣٨) . نعم إن العمل على خلاص النفس يحتاج إلى

تعب وإلى احتمال ...

أحياناً كان يرى أبواب القلوب مغلقة ، فيقف ويقرق ...
وقد بطول به الوقوف ، حتى يمتلىء رأسه من الطل ، وقصصه من ندى
الليل (نش : ٥ : ٢) . وهو لا يمل الانتظار ، ولا ينجل منه ...
والرب بهذا يعطينا درساً أن كسب محبة الناس يحتاج منا إلى احتمال
وطول بال . فأحياناً تكون القلوب صلبة وشديدة ، ولا يمكن دخولها بسرعة
ولا بسهولة ... فإن تعبنا في دخول قلوب الناس ، فلا تتصايق . هكذا
حدث للمسيح منبع الحب . وإن دخلت قلباً ، ولم تجد فيه محبة مثل
محبته ، فلا تحزن . فهكذا حدث للمسيح قلباً ، ولم يعام الناس بمثل
معاملتهم .

بل كان وسط الكل « يجول بصنع خيراً » (أع : ١٠ : ٣٨) .
« يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في
الشعب » (مت : ٤ : ٢٣) من من الناس لم يأخذ من محبة المسيح ومن
تعبه ؟! الكل أخذوا ... حتى الذين رفضوه ، حتى الذين صاحوا فيما بعد
اصليه اصليه ...

كان بوزع محبته على الكل ، فيلاق إنتقاداً من معلمى الشعب .
إن اشفق على عشار لكي يخلص نفسه ، انتقدوه قائلين « إنه دخل
لببيت عند رجل خاطيء » (لو : ١٩ : ٧) ، فيجيب المسيح : اليوم حصل
خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لإبراهيم .



ويحتمل الرب هؤلاء المنتقدين ، ويعمل على اقناعهم ليكسبهم .
كم من مرة فعل خيراً ، فانتقدوه على فعل الخير ، من زاوية معينة ،
كما حدث في الحب الذي بذله نحو العشارين ليخلصهم . أو نحو
السامريين المردولين منهم ... وأضطر أن يقول لهم مثل الفريسي والعشار
(لوقا ١٨ : ٩-١٤) ومثل السامري الصالح (لوقا ١٠ : ٣٠-٣٥) .

وبالمثل أشفق على تلك المرأة الخاطئة التي بللت قدميه بدموعها ،
فانتقده سمعان الفريسي قائلاً في قلبه « لو كان هذا الإنسان نبياً ، لعلم
من هذه المرأة وما حالها ، إنها لخاطئة » (لوقا ٧ : ٣٩) . فشرح هذا
الفريسي كيف أن الذي يغفر له الكثير يحب كثيراً .

وبنفس القلب الشفوق الحنون الطيب ، أشفق على المرأة الزانية التي
ضبطت في ذات الفعل ، وأنقذها من القساة المشتكين عليها طالبين
رحمها ، وهم يعرفون شفقتهم على الخطاة ، إنما فعلوا ذلك « ليجربوه ، لكي
يكون لهم ما يشتكون به عليه » (يوحنا ٨ : ٦) .

عجيب أن هذا القدوس ، قوبل من قادة الدين في عصره
بسلسلة من الشتائم والاتهامات .

سلسلة من شتائم وإتهامات

قالوا له « أليس حسناً قلنا إنك سامري وبك شيطان » (يوحنا ٨ :
٤٨) . ياللعجب أن يقال عن رب المجد ، الذي يخرج الشياطين

و يطردهم ، إن به شيطاناً ! يقولون له « بك شيطان » ! و يظن المجدفون بهذا أنهم « حسناً قالوا » !

فلا تتعب يا أخى إن قيلت عنك كلمة رديئة رما أقل من هذه . فالسيح قد قيل عنه إنه سامرى وبه شيطان . والعجيب أن الرب لما سمع هذه الالهانة ، رد بهدوء عجيب وبدون إنفعال .

ما هذا يارب ؟ قل أن ينزل نار من السماء وتغنيهم . هذا جتس لا تنفع معه الطيبة . أضرب ضربتك فيوقروك ... وكأن الرب يحيب : ليس هذا هو اسلوبى . سأتركهم الآن فى حذتهم . وبعد حين سيعقلون ويتوبون ، وينظرون إلى الذى طعنوه وجرحوه ، ويندمون .
ما أكثر ما أحتمل الرب من إنتقادات وإتهامات .

بل أن كل معجزة كان يصنعها ، كانوا يحاولون أن يغلطوا مجدها بشتائمهم وإنتقاداتهم وإتهاماتهم .

كان يخرج الشاطين من المصروعين ، فيقولون « بيعلز بول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مت ١٢ : ٢٤) كما لو كان الرب من جند الشيطان !

و يفتح عيني المولود أعمى ، المعجزة التى لم يحدث لها مثيل من قبل . فبدلاً من أن يؤمن أولئك المعاندون به ، نراهم يقولون عنه « هذا الإنسان ليس من الله » . ويقابلون الأعمى الذى أبصر ، ويضغطون عليه قائلين « أعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطيء ... » (يوحنا ٩ : ١٥)

١٦-٢٤). فلما دافع الأعمى الذى أبصر عن المسيح « شتموه قائلين أنت تلميذ ذلك » كما لو كانت التلمذة للمسيح تهمة وعاراً !!

يا للعجب ! يوصف الرب بأنه سامرى ، وبه شيطان ، وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين . ويوصف بأنه خاطىء ، وبأنه ليس من الله ، وبأن التلمذة له عار... وماذا أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً إنه كاسر للسبت (يوحنا : ١٦) .

وقالوا إنه « أكول وشريب خمر » (لوقا : ٢٤) .

وقالوا إنه « محب للعشارين والخطاة » (متى : ١١ : ١٩) .

وماذا قالوا عنه أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً أنه « مجدف » و « يتكلم بتجديف » ... !

(متى : ٣ : ٣) .

ورفعوا حجارة ليرجموه (يوحنا : ٨ : ٥٩) محاولين رجه أكثر من مرة (يوحنا : ١٠ : ٣١) .

وعملوا محاولتهم لرجه بقولهم له « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ،

بل لأجل تجديف » (يوحنا : ١٠ : ٣٣) . وعندما حكم عليه رئيس الكهنة

بحكم الموت ، كان الحكم لهذا السبب عينه ، تهمة التجديف ... ! مزق

رئيس الكهنة ثيابه قائلاً « قد جدف . ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد

سمعت تجديفه » (متى : ٢٦ : ٦٥) .

إنه مذهب حقاً ، أن رئيس الإيمان ومكمّله ، المعلم الصالح لدخرة فيه

كفى كسور لعلم والمعرفة ، يدعى مجدفاً ، وهو « حكمة الله وقوة الله »

(١ : ٢٤) ...

واتهموه أيضاً بتهم سياسية . فقالوا إنه ضد قيصر ، وأنه « يبيع الشعب » وأنه « يفسد الأمة » (لوقا : ٢٣ : ٢ ، ٥) .

هؤلاء الذين أردوا المسيح ملكاً عليهم ، يخلصهم من حكم قيصر ، بل أرادوا أن يحتفظوا به ليجعلوه ملكاً (يو : ٦ : ١٥) ، هؤلاء لما رفض المسيح هذا الملك الأرضي ، لأن مملكته ليست من هذا العالم (يو : ١٨ : ٣٦) ، ولأنه يريد مملكة روحية في قلوب الناس ، وليس مملكة أرضية ، حينئذ اتهموه بأنه ضد قيصر !!

« وابتدأوا يشتكون عليه قاشين : إنا وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلاً إنه مسيح ملك » (لوقا : ٢٣ : ٢) !!
باللعجب ، يلفقون هذه التهمة ، ولا ينجحون من عبارته المشهورة « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مزمور : ١٢ : ١٧) .

وإذا هؤلاء الشائرين على قيصر ، الطالبين ملكاً يخلصهم منه ، يتمسحون الآن في قيصر ، بصغر نفس ، وبالذس والوقية ، مقدمين المسيح كمتهم بهذه التهمة . وصمت المسيح لأنه « حمل خطايانا » ... ولم يكتفوا بتهمة التجديف وبالتهمة السياسية ، بل أيضاً .

اتهموه بأنه مضل ، حتى بعد موته على الصليب لأجلهم ، ولأجل العالم كله . فذهبوا إلى بيلاطس ، وقالوا له « يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المصل قال بعد وهو حي ، إني بعد ثلاثة أيام أقوم فربضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لشلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشد من الأولى » (مت : ٢٧ :

(٦٤، ٦٣).

وهكذا وصفوه بأنه مفضل ، وبأن تلاميذه مثله ، سيقودون الشعب إلى ضلالة أشر... !

هذا هو المسيح الذى « أخصى مع الأئمة » ...
والذى قابل الموت « محترقاً ومخذولاً من الناس » (أش ٥٣ :
١٢) .

حقاً إن السيد المسيح لم يقابل بحب مثل حبه ، فتمت الكلمة
المكتوبة فى ناموسهم « أبغضونى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) (يو ١٥ :
٢٥) .

هذا هو المسيح الذى قدموه ككاثر ، ناثر على المجتمع بر بد أن يغير
عوائده وتقاليده ، وثائر على الدين يقول إنه سيهدم الهيكل و يبنيه فى ثلاثة
أيام ، وثائر أيضاً على قيصر ، يمنع أن تدفع جزية له ... هذا الوديع للذى لا
يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ...

هذا هو المسيح ، الذى أبغضه الكثيرون .

فتقام ضده الكتبة والفريسيون والصدوقيون ولناموسيون ، والشيوخ
والكهنة ورؤساء الشعب ... وكانوا يحاولون فى كل مناسبة أن « يسطادوه
بكلمة » (مت ٢٢ : ١٥) (مر ١٢ : ١٣) .

وهكذا تعرض كل يوم للمقاومين والمعاندين ، الذين يحاولون أن
يشيعوا عنه باستمرار كلمة ردية ... قاموا على الرب وعى مسيحه وهم
يقولون : لنقطع أغلالهما ، ولنطرح عنا نيرهما (مز ٢) .

إننا عندما نرى آلام السيد المسيح ، نتعزى في آلامنا .
وعندما نرى آلامه ، نتبكت في داخلنا ، لأننا سبب آلامه ...

كثيرون يحزنون على آلام المسيح ، وهو يزبدون آلامه بأفعالهم وفي
كل يوم يضيفون إلى المسيح ألماً جديداً ...
وكثيرون يرون صورة المسيح المصلوب ، فيبكون ويتألمون في قلوبهم ،
بينما هم يصلبون المسيح كل يوم ...

إن أردنا حقاً أن نخفف من آلام المسيح ، علينا أن نتوب ، لأننا بذلك
لا نحزن قلبه بخطية جديدة ، ولا نضع قطرة جديدة في كأس آلامه بسبب
خطايانا . فلنترك الخطية إذن ، لنفرح قلب الله .

لتكن توبتنا مغلوبة بحبة المسيح المصلوب عنا .

كثيرون يستعدون عن الخطية ، خوفاً من جهنم والعقاب الأبدي .
ولكن ليتنا نترك الخطية ، لأنها تؤلم المسيح ، وتخرج قلبه المحب ، وليس
لمجرد خوفنا من فقد الملكوت ، أو حرصاً على أنفسنا .

لا تكن توبتنا مركزة في ذاتنا ، نقاوتها ومصيرها ، بل الحرية فلنركز
مشاعرنا في الله الذي أحبنا ، والذي يعتبرها خيانة منا ، أن نقابل محبته
بالجهود ، ونضيف إليه بأخطائنا آلاماً أخرى .

ولنطلب من الرب أن يعيننا على أن نحيا في البر ، حتى لا تؤلم قلبه
الذي لم يؤلم أحداً ، قلبه المملوء حباً لنا ، واشفاقاً علينا ، حتى ونحن
خطئي .

المسيح في الآلهة عن خطايانا ، كان يشفق ولا يدين .
الدينونة لها وقت آخر في محبته الثاني . أما في فترة الآلهة ، فقد وضع
أمامنا حقيقة مغزية وهي : « لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم »
(يو ١٢ : ٤٧) ...

والأمر الذي يدعو إلى الإعجاب حقاً في آلام المسيح :
إن كل أخطاء الناس ، لم تغير إطلاقاً من محبته لهم .
كل خيانتهم ورفضهم ، وكل ما حاكوه حوله من دسائس ، وما لفقوه
حوله من تهم وأكاذيب ، بل وكل اعتداءاتهم من ضرب ولطم واستهزاء ...
كل ذلك لم يهز محبته العظمى التي لا تحد ...

ظل كما هو القلب الكبير ، الذي يسع الكل ... يسع ضعفات أحبائه ،
ويسع خيانة الشعب الذي أحسن هو إليه . هذا القلب الكبير الذي صلي
لأجل صالبيه قائلاً : « يا أبته اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون »
(لو ٢٣ : ٣٤) .

حقاً إن محبة المسيح كانت أقوى بكثير جداً من آلهة ...

والمذهل أيضاً في الآلهة ، أنها كانت سبباً لسروره ...

يقول معلمنا بولس الرسول « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله
يسوع ، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهيناً
بالخزي » (عب ١٢ : ٢) .

لقد وجد السيد المسيح سروراً في تحمل الآلام ، من أجل فرحه

بخلاصنا ، لذلك إستهان بالخزى . ولم يتألم عنا متضجراً إنما فرحاً ، بسبب محبته الكبيرة لنا ، ومحبته للآب وإرضائه . فكان في صلبه « محرقة وقود ، رائحة سرور للرب » (لا ١١ : ٩) .

لقد أعطانا المسيح خلاصاً . والمعطى بسرور يحبه الرب .
كان يعطى حياته فداء عن العالم . وكان عطاؤه ممزوجاً بمحبته ، وكان عطاء سرور ، من أجل الخلاص العظيم وإتمامه ...
والجميل في آلام المسيح أيضاً ، أنه قدّس الألم ...
الألم جاء نتيجة للخطية ، دخل العالم في أثرها ... كما دخل في أثرها أيضاً الموت .

وقد أراد المسيح أن يخلصنا من كليهما ، من الألم والموت . فإذا به بالموت قد داس الموت . وإذا بالألم قد قدّس الألم ، وحوله إلى علامة حب ، وعلامة طاعة .
طاعة للآب ... وحب لبشر .

ونحن كلما ننظر إلى المسيح المتألم ، إنما نذكر حبه ، وندكر تقديسه للألم ، وقدسية آلام كل الذين احتملوا من أجله ، كالشهداء والمعتقرين ، وكل من حملوا الصليب في حياتهم .

وإذا نحن الألم وقدسيته ، ندخل في شركة آلام المسيح ...
كما قال القديس بولس الرسول « لأعرفه ، وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، مشتبهاً بموته » (في ٣ : ١٠) .

كيف ندخل في شركة آلام المسيح ؟

هذا موضوع طويل ، موعداً فيه محاصرة أخرى ، إن أحببت نعمة الرب وعشنا .

أما الآن فلنستمر في تأملاتنا في آلام المسيح لأجلنا . وكيف أنه في عمق آلامه كان يعمل لأجلنا ، مهتماً بنا .

وفي يوم الخميس الكبير ، وهو عالم أن ساعته قد جاءت (يوحنا ١٣ : ١) قدم لنا عمليين من أعمال محبته هما :

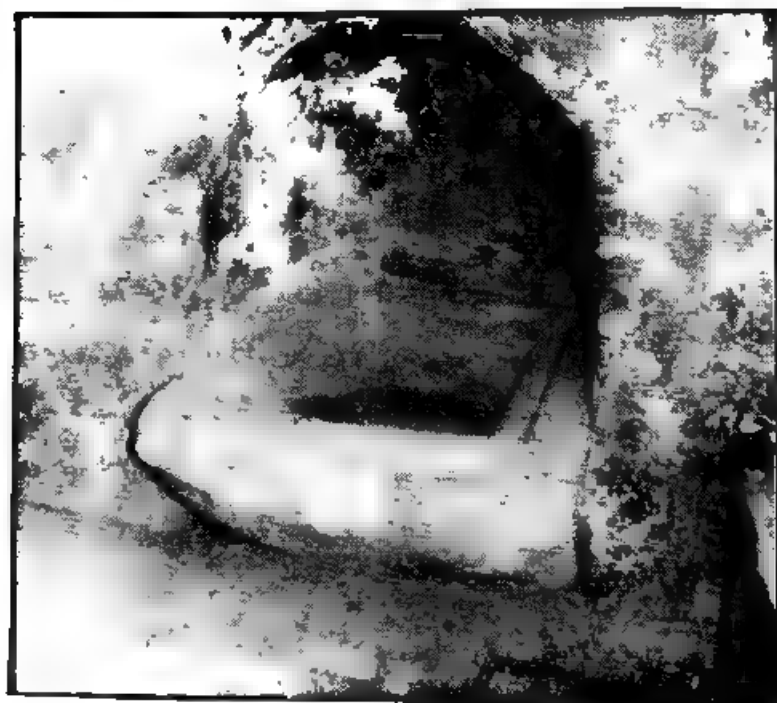
- تقديم جسده ودمه لنا ، لأجل أن نثبت فيه .
- وقبل ذلك غسل أرجلنا ، رمز لتطهيرنا قبل تناول .

فلنأخذ هذين الموضوعين مجالاً للتأمل في محبة الرب لنا ، أثناء آلامه عنا ...



عظة عن اللقان يوم خميس العهد

« قام عن المشاء ، وخلع ثيابه ، وأخذ منشفة
وانزرها . ثم صب ماء في مغسل ، واستدأ
يفسل أرجل التلاميذ ومسحها بالمنشفة »
(يو ١٣ : ٤ ، ٥) .



دروس روحية من الماء :

لقد غسل السيد المسيح أرجل تلاميذه يوم الخميس الكبير ،
وغسلها قبل تناول ، قبل أن يمنحهم السرائر المقدسة ،
وقال لهم بعد غسل أرجلهم ، ها أنتم طاهرون ...

لعله أراد أن يعطينا درساً عن الطهارة قبل تناول ،
فيتقدم الإنسان إلى الأسرار المقدسة وهو طاهر ...
أو لعله يعطينا درساً آخر ، أن الطهارة منحة من عنده . هو الذى
يمنحنا إياها ، هو يفسلنا فنطهر .
ونلاحظ أنه غسل أرجل التلاميذ ، دون أن يطلبوا ذلك ، كما منحنا
القضاء العظيم دون أن نطلب ...

أو لعله أراد أن يعطينا درساً فى التواضع ...
فى التواضع ، إذ كيف ينحنى المعلم العظيم ليغسل أرجل تلاميذه ،
وكيف ينحنى الرب نفسه ليغسل أرجل صنعة يديه .
ولكى يوضح هذا الدرس ، قال لهم بعد غسل أرجلهم :
« أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً
تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت - وأنا السيد والمعلم - قد غسلت
أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى

أعطيتكم مثلاً ، حتى كما صنعت بكم تصنعون أنتم أيضاً»
(يو ١٣: ١٢-١٥) .

أولعل الرب أعطانا بغسل الأرجل درساً في المحبة ...

فهو من محبته لتلاميذه ، منحهم هذه الطهارة ، كي يمنحهم بنفس المحبة جسده ودمه . ولذلك قيل عنه قبل غسله لأرجل تلاميذه « إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى ... » (يو ١٣ : ١) .

ولعل في الماء دروساً أخرى ، علينا أن نتأملها اليوم :

وأظن أنه من النافع لنا ، أن نأخذ فكرة عن هذا الماء الذي سنغسل به أرجلنا اليوم بعد طقس صلاة اللقان ...

ما هو الماء في الكتاب المقدس ؟ وما مدى علاقتنا به ؟

الماء في الكتاب المقدس له على الأقل ثلاثة رموز أو ثلاثة معانٍ . نود أن نتكلم عنها ، ثم نتابع تأملاتنا فيه :

الماء يرمز إلى النقاوة والتطهير ...

ويرمز إلى الحياة ...

ويرمز إلى عمل الروح القدس ،

أو إلى الروح القدس نفسه ...

١ - الماء وعمل التطهير :

عمل التطهير واضح جداً من فصل إنجيل اليوم في غسل السيد لأرجل تلاميذه . وتوجد أمثلة أخرى كثيرة في الكتاب المقدس .
ولعلنا نذكر أنه كانت توجد مرحضة في خيمة الاجتماع ، بين الخيمة والمذبح ، وفي المرحضة ماء « فيغسل هرون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها ... عند اقترابهم إلى المذبح لخدمة ... فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم » (خر ٣٠ : ١٨-٢١) .

الإغتسال أولاً . الطهارة أولاً ، قبل التقدم إلى المذبح والذبيحة .

ومثال الإغتسال في خيمة الاجتماع ، بقباله أيضاً الإغتسال في الأردن ، وفي بركة سلوام ، وفي بركة بيت حسدا ...

هنا ونقف وقفة تأمل أمام قصة تطهير نعمان السرياني .
كان هذا الرجل أبرص . والبرص كان نجاسة ، وكان يرمز إلى الخطية ، ويحتاج إلى تطهير . فكيف تم تطهير نعمان من برصه ؟ أمره أليشع النبي أن يغتسل في نهر الأردن ليبراً (٢ مل ٥ : ١٠) . ونهر الأردن يذكّرنا بمعمودية يوحنا ، حيث كان اليهود يأتون إليه ، ويغفون في الأردن وينالون مغفرة خطاياهم ، فيطهرون روحياً ...

أخرج من هذا بأن ماء الطهارة أيضاً له رمز إلى المعمودية ؟

قصة أخرى يقدمها الكتاب ، وهي شفاء مريض بيت حسدا .
كان فيها أيضاً الشفاء مرتبطاً بالماء . وما أجل قول الكتاب في تلك
القصة إن ملاكاً كان ينزل إلى البركة ويحرك الماء (يوحنا : ٤) . ويتم
الشفاء لمن ينزل إلى البركة بعد تحريك الملاك للماء . فالملاك إذن كان
يتحركه للماء ، يعطى الماء فاعلية وقوة .

يذكرني هذا بالأب الكاهن ، عندما يمسك صليبه ، ويحرك به الماء في
جرن المعمودية ، أوفى اللقان ، وهو يرشم هذا الماء ، ويعطيه قوة
وفاعلية ...

أنذكر أيضاً بركة سلوام ، التي أرسل إليها السيد المسيح رجلاً مولوداً
أعمى ، لكي يغتسل من مائها ، فبيراً ويستنير ويبصر (يوحنا : ٩ : ٧) .

يمكن أن نضم الدموع أيضاً إلى موضوع الماء ...

فالدموع ماء ، يحدث به تطهير للنفس وشفاء للروح ، كما حدث من
ماء بركة سلوام ، وبركة بيت حسدا .

في قصة المرأة الخاطئة التي علمت أن السيد المسيح متكئ في بيت
الفريسي ، فأخذت قارورة طيب كثير الثمن ، ووقفت عند قدمي المسيح
باكبة ، وكانت تبلل قدميه بدموعها وتدهنها بالطيب (لوقا : ٧ : ٣٨) .

**صدقوني لست أعلم : أيها كان أطيب رائحة ، الطيب أم دموع
هذه الثابتة ؟! بلا شك الدموع كانت صاحبة الفاعلية ...**

كانت دموع هذه المرأة طيباً من نزع غالى الثمن جداً . واسيد الرب
طوب هذا الطيب الجديد الذى تبللت به قدماء .

إذن الماء مرتبط بالتطهير ، حتى ماء لعيون ، حينما يحركه ملاك ترسله
النعمة . هنا ونتذكر قول الزمور (مز ٥٠) : إنضح على بزوفاك فأطهر .
وماذا أيضاً ؟ يقول المرتل :

« إغسلنى ، فأبيض أكثر من الثلج » ...

والغسيل فى المسيحية بطريقتين : المعمودية ، والتوبة .

ونرى أن الخطاة يهوا ، التى وردت قصة تطهيرها فى الأصحاح ١٦
من سفر حزقيال النبي ، قال لها الرب « وجدتكَ مدوسة بدمك ...
فحممتك بالماء ، ودهنتك بالزيت » . الماء هنا يرمز إلى ماء المعمودية
الذى يطهر به الإنسان من كل خطاياها السابقة الجدية والفعلية . والزيت
يرمز إلى زيت الميرون الذى يعطى الروح القدس ، ولكن بعد الماء ...

ولقد ظل الماء رمزاً للتطهير ، حتى أن الكاهن قبل أن يبدأ القداس ،
يغسل يديه بالماء ثلاث مرات ، ويقول فيها :

« أغسل يدي بالنقاوة ، وأطوف بمذبحك يارب » (مز ٢٥) .

لا يقول « أغسل يدي بالماء » إنما « أغسل يدي بالنقاوة » لأن
غسيل الماء هنا يرمز إلى النقاوة ، كما ترمز إليها للملاسل سيصء التى
يلبسها الكاهن وقت الخدمة . وكما كان يغتسل هرون وسود قبل تقديمه
إلى المذبح ...

ورمز الماء إلى الطهارة ، كان معروفاً حتى بين الأمم . فيبلاطس البنطى ، لكى يريح نفسه من تعب ضميره ، غسل يديه بالماء وهو يقول « أنا برىء من دم هذا البار » (مت ٢٧ : ٢٤) . طبعاً هو لم يكن بريئاً ، ولكننا نذكر هنا مجرد إيمانه برمز غسيل الماء إلى الطهارة .

هنا ونود أن نطرح تأملاً بسيطاً خاصاً بماء الطوفان ... لا ننكر أن مياه الطوفان كانت عقوبة من الله . ولكن هل يقف الأمر عند مجرد العقوبة ؟ أم كانت هذه المياه تطهيراً للأرض من الخطية والخطاة ، تطهيراً للأرض من الفساد الذى نجسها ، فغسلها الله من خطايا الإنسان ، بالماء ليطهرها ويجدها لكى تحيا مرة أخرى فى نقاوة ...

إن غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه كان يرمز لتطهيرهم . ولا شك أن هذا كان لازماً فى مناسبة الفصح وعيد الفطير .

نلاحظ من قراءات الكمية فى طقس الخميس الكبير ، فى هذه الساعة المقدسة وما قبلها ، أن غسل الأرجل تم فى اليوم الأول من عيد الفصح وعيد الفطير .

الفطير يرمز للنقاوة والطهارة التى تليق بتناول الفصح ، بينما الخمير يرمز إلى الشر . وقد غسل السيد المسيح أرجل التلاميذ فى هذه المناسبة المقدسة ، التى جمع فيها بين عيد الفصح ، وبين تقديم نفسه فصحاً عنا .

ومعلمنا بولس الرسول أشار إلى كل هذا بقوله : لأن فصحنا أيضاً المسيح قد دُبِحَ لأجلنا . فلنعيّد لا بخمير الخبث والشر ، بل بفطير

الإخلاص والحق (١ كوه : ٧ ، ٨) .

وخروف الفصح قديماً كانوا يأكلونه مع فطير (خر ١٢ : ٨) رمزاً إلى النقاوة التي تليق بالأكل من خروف الفصح . حقاً إن خروف الفصح قد خلصهم من الموت ، واللاك المهلك لما رأى الدم عبر عنهم . ولكنهم لكي يشمتوا بذلك الخلاص لا بد أن يعيشوا في فطير دائم ترمز إليه السبعة الأيام ، أى في نقاوة كاملة . وكل نفس تستيق في بيتها خيراً في أيام الفصح (أى شراً) تقطع تلك النفس من جماعة الشعب (خر ١٢ : ١٩) .
والسيد المسيح مع الفصح غسل أرجل التلاميذ ، رمزاً للنقاوة التي يشير إليها الفطير .

وغسل الماء يرمز أيضاً إلى المعمودية ...

والكتاب المقدس يسميه غسيل أو حيم الميلاد الثاني (تي ٣ : ٦) .
في المعمودية توجد عملية تطهير من جميع الخطايا السابقة ، سواء الأصلية أو الفعلية ، عن طريق الماء والروح .

وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى في سياق حديثنا ...

ونكتفي الآن في مناسبة اللقان ، بـرمز الماء إلى عمل التطهير ، ونحن مقبون على هذا السر العظيم ، التناول من جسد الرب ودمه ...

٢ - الماء يرمز إلى الروح القدس :

وهذا واضح من قول الرب في الإنجيل المقدس « من آمن بي - كما قال الكتاب - تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى

كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه » (يو ٧: ٣٨) .

ولأن روح الله شُبه بالماء ، لذلك فإن تلاميذ الرب المعتنقين بالروح شُبهوا بالأنهار . وكذلك الأناجيل الموحى بها من الروح .

وهكذا قيل عن الكنيسة المقدسة في المزمور (مز ٢٣) « هو على البحار أسسها ، وعلى الأنهار هياها » . وحسن ما ورد في قصة الخليفة أن أربعة أنهار كانت تروى الجنة (تك ٢: ١٠-١٤) . ولعلها ترمز إلى الأناجيل ، التي تروى المؤمنين جميعاً ، والتي كتبت بالروح القدس « الناطق بالأنبياء » .

ولأن الماء يرمز إلى الروح ، شبه الله نفسه بالماء ، فقال « تركوني أنا يسوع المياه الحية . لينفروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشقة لا تضبط ماء » (أر ٢: ١٣) .

وأصح الشخص الذي يحيا حياته مرتوياً من الروح القدس ، يُشبهه بشجرة مغروسة على مجارى المياه ، إنها تحيا بهذا الماء ، وبه تنمو . وبدونه تموت ... وهكذا تربط الماء أيضاً بالحياة ، ولقب أيضاً في الكتاب بالماء الحى .

٣ - إرباط الماء بالحياة :

حق الحياة الجسدية ترتبط أيضاً بالماء ، سواء كانت حياة لإنسان أو

نبات أو حيوان . وقد قيل في قصة الخليقة إن الله أخرج من الماء ذوات الأنفس الحية (تك ١ : ٢٠ ، ٢١) .

والحياة الروحية أيضاً ترتبط بالماء ...

تبدأ بالولادة من الله ، الولادة التي من فوق ، من الماء والروح (يوح ٣ : ٥) . ولماذا الماء ؟ لأن الروح القدس يعمل في الماء ، وفيه يطهر ويحيى ، يعطى نقاوة وحياة .

يغتسل الإنسان في ماء المعمودية فيأخذ طهارة . يموت الإنسان العتيق ، ويحيا إنسان جديد على صورة الله . فينال الإنسان حياة ، وينجو من حكم الموت ...

هذه هي المعمودية . ولها رموز في العهد القديم أيضاً ...

قال القديس بولس الرسول « لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا ، أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وجميعهم اجتازوا في البحر ، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر » (١ كو ١٠ : ١ ، ٢) .

السحابة ماء ، والبحر ماء ، وكلاهما كان للمعمودية .

هذا الماء دخله آباؤنا شعباً مستعبداً تحت عبودية فرعون . وخرجوا منه شعباً حراً تحت قيادة الله وموسى .

هذا الشعب الهارب من العبودية ، دخل الماء ولموت يجرى وراءه ، وخرج منه وقد نال حياة جديدة إنتصرت على الموت .

حدث تغيير هام في اجتياز هذا الشعب للماء ...

وكانت السحابة تظلّلهم باستمرار ، لأنهم كانوا يعيشون في ظل هذا الماء الحى ، أو الماء الحى ، طول مدة غربتهم في البرية التي ترمز إلى غربة هذا العالم الحاضر .

إن السيد يسوع يدعونا إلى مائه ويقول :
إن عطش أحد ، فليقبل إلّى ويشرب » (يوحنا : ٣٧) .
وقد دعا المرأة السامرية إلى مائه الحى ، وقال لها « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه ، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يوحنا : ١٤) .

داود النبي يسميه في مزمور الراعى « ماء الراحة » .
فيقول عن الله الراعى « إلى ماء الراحة يوردي » أى إلى الماء الحى ، ماء الروح القدس . وما نتيجة هذا ؟ يقول « يرد نفسى ، يهينى إلى سبل البر » . هذا هو بلا شك عمل الروح في الإنسان .

يقوده في الحياة الروحية وفي التوبة ... ويعطيه الفرح ...
الفرح بالخلاص ، أو كما يسميها المرتل « بهجة خلاصك »
(مز : ٥٠) .

ويقول المزمور « مجارى الأنهار تفرح مدينة الله » (مز : ٤٥) .
إنه الفرح الروحى ، أحد ثمار الروح القدس (غل : ٥ : ٢٢) .
هذه المياه التي تفرّج مدينة الله تذكرنا بحقيقة أخرى عن الماء ،

نتذكرها ونحن نتقدم للقداس الإلهي للتناول ، بعد غسل أرجلنا بالماء .
هذه الحقيقة تعبر عنها كلمتان هما :

الماء والدم :

عندما طعن السيد المسيح بالحرية ، خرج من جنبه دم وماء
(يوحنا : ١٩ : ٣٤) . وقد شهد القديس يوحنا الحبيب بهذه الحقيقة في رسالته
الأولى (٤ : ٦) وقال أيضاً « والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة :
الروح والماء والدم . والثلاثة هم في الواحد » (١ يوحنا : ٨) .
ما أعجب هذه الآية في موضوع خلاصنا . فما سرها ومعناها ؟

معناها أن الخلاص الذي قدمه المسيح بالدم ، على الصليب ،
تناله أنت بالماء والروح في المعمودية ..

و يشهد خلاصك هؤلاء الثلاثة : الروح والماء والدم .
بدون الدم لا حياة ، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة
(عب ٩ : ٢٢) . ولكن كيف تنال هذا الخلاص المقدم لك بالدم ؟ يقول
السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » (مرقس ١٦ : ١٦) . وفي المعمودية
يولد من الماء والروح (يوحنا ٣ : ٥) ، و ينال مغفرة الخطايا (أع ٢ : ٣٨) .

والماء والدم ، نراهما أيضاً في سر الإفخارستيا ...
حيث أن الكاهن في صلاة القداس الإلهي يمزج الخمر بالماء . ويقول
في صلوات القداس « وكذا اكأس بعد العشاء ، مزجها من خمر

وماء ... » . وهذا الدم الذى نتناوله ممزوجا بالماء ، ننال الحياة . ونرى فى كل منها علاقة بالحياة ، فى الدم وفى الماء .

ولكن قبل تذكارات هذا التناول أود أن أختم بكلمة عن اللقان عن غسل الأرجل ...

لماذا غسل الأرجل ؟

السيد المسيح غسل أرجل تلاميذه . فلماذا غسل الأرجل بالذات ؟ بالإضافة إلى ما يمكن أن نقوله عن الإقتضاع فى غسل الأرجل ، أود أن أذكر تأملاً للقديس أوغسطينوس حول قول العروس فى سفر النشيد (نش : ٥ : ٣) .

خلعت ثوبى ، فكيف ألبسه ؟ غسلت رجليّ فكيف أوسخها ؟

قال إن الإنسان قد اغتسل بالمعمودية وتطهر وارتفع عن الماديات ، غير أنه طالما يحيا فى الأرض ، فإنه يعود ويتصل بالمادة ، هذا التراب ، فتسخ قدماه بهذا التراب الذى تلوّنه قدماه .

لذلك فإن عذراء النشيد حينما دعاها الرب لخدمته ، خافت من هذه الإحتكاكات التى قد توجد فى مجال الخدمة ، والتى قد تشين الطهارة التى نالتها فى المعمودية وإذ خلعت هذا الثوب الذى هو الإنسان العتيق ، فكيف تعود إلى مشاكله . وقد غسلت قدمها اللتين داستا التراب من قبل ، فكيف تعود بها إليه ؟!

السيد المسيح يطمئن النفس ، التي تدخل في مشاكل الناس لكي تجذبهم إليه ، فيقول لها : حتى إن اتسحت قدماك ، سأعود أنا وأغسلها كما غسلت أرجل التلاميذ وقلت لهم : ها أنتم طاهرون .

ملاحظة أخرى نقولها في غسل الأرجل :

إن غسل الأرجل ، تنوب عن غسل الإنسان كله .

والقديس بطرس الرسول لما طلب أن يغتسل كله ، قال له الرب « الذي قد اغتسل ، ليست له حاجة إلا إلى غسل رجله ، بل هو طاهر كله » (يوحنا ١٣ : ١٠) .

والكاهن حينما يعسل يديه قبل القداس ، ويقول « أغسل يدي بالنقاوة ، وأطوف ممسحك يارب » ، ليس هو في حاجة إلى غسل جسده كله . إنما عضو في الجسد ينوب عن الباقي .
كما نرشم عضواً واحداً في الجسد ، فيعتبر الإنسان كله قد نال هذا الرشم ...

وغسل الأرجل في لقان الخميس الكبير ، يرمز إلى النقاوة التي يجب أن تسبق التناول . فاهتموا بهذا الأمر .

و يعجبني في هذا المجال عبارة قالها صموئيل البى ، حينما ذهب إلى بيت خم . ودعا إلى الذبيحة بقوله :

تقدسوا ، وتعالوا معي إلى الذبيحة (١ صم ١٦ : ٥) .

لأنه لا يليق أن يذهب أحد إلى الذبيحة وهو غير تائب ، إنما يتقدس

أولاً ، ينظّهر بالتوبة ، ثم يتقدم إلى التناول .

والكنيسة تغسل أولاً أرجل الشعب ، وتقول لهم « أنتم الآن طاهرون » ثم تقدمهم للتناول .

ولكن ليس معنى هذا أن تأق إلى الكنيسة يوم خيس العهد ، وتتقدم لغسل رجليلك وأنت غير تأب . وإلا تسمع تلك العبارة المحيطة :

أنت (الآن) طاهرون ولكن ليس كلكم « (يو ١٣ : ١٠) .
« ليس كلكم » ؟ لا يارب ، نريد أن نكون كلنا طاهرين .
إنضح علينا بزوافاك فنظهر . واغسلنا فنبيض أكثر من الثلج .

نعم ، هذا هو هدف اللقان . الطهارة قبل التناول .

« تقدسوا ، وتعالوا معي إلى الذبيحة » .

أرجو لكم تناولاً مقدساً ، باستحقاق ، من السرائر المقدسة في هذا اليوم العظيم ، وأن تكونوا كلكم طاهرين .

إن الطهارة التي يحملها رمز الماء ، توجد في الكنيسة في كل قداس ، وليس في قداس اللقان فقط .

وبعد كل قداس ، قبل أن يصرف الكاهن الشعب ، يرشهم بماء مقدس ، فننذكر قول الرب في سفر حزقيال النبي :

« وأرش عليكم ماء طاهراً ، فنظهرون » (حز ٣٦ : ٢٥) .



التوبة والتناول

نشكر الله ، لأننا ونحن خارج المحلة حاملين عاره ، فتح لنا الرب طريقاً إلى قدس الأقداس ، إذ فتح لنا هيكله المقدس ، وأدخلنا إلى حيث مذبحه الطاهر ، وأعطانا جسده ودعمه الأقدسين .

إنها بركة عظيمة أن يفكر فينا السيد الرب في أسبوع آلامه ، ويتم بنا هكذا ، بعد أن منحنا الطهارة اللازمة ، في غسله لأرجلنا ...

وهكذا في يوم الاحتفال بالفصح القديم ، بكل ما يحمل من رمز ، قدم لنا الفصح الذي للمهد الجديد ...
الفصح الذي قال عنه القديس بولس « لأن فصحنا أيضاً ، المسيح ، قد ذبح لأجلنا ... » (١ كور ٥ : ٧) .

وهكذا إجتمع فصحان ، في يوم واحد ، وعلى مائدة واحدة . الرمز ، والرموز إليه معاً . وأعطى السيد المسيح هذا السر العظيم لتلاميذه القديسين ، وقال لهم « اصنعوا هذا لذكري » (لوقا ٢٢ : ١٩) . وها نحن نصنع هذا اليوم ، حسب وصيته المقدسة .

احتفل المسيح مع تلاميذه بالعيد ، وهو في عمق آلامه .
فرح معهم بالعيد ، وعيد معهم ، وقال لهم « شهوة أشتيت أن أكل هذا الفصح معكم ، قبل أن أتألم » (لوقا ٢٢ : ١٥) .
وسبح معهم في تلك الليلة ، قبل أن يخرجوا إلى جبل الزيتون (مر ١٤ : ٢٦) (مت ٢٦ : ٣٠) . نعم احتفل معهم بالعيد ، وفرح معهم « وهو عالم بكل ما يأتي عليه » (يوحنا ١٨ : ٤) .

حقاً ما أنبل القلب المتألم ، الذى يغنى مع القلوب الفرحة .

وفى فرحة عيد الفصح ، حدثهم عن جسده الذى يبذل عنهم ، ودمه الذى يسفك عنهم (لوقا ٢٢ : ١٩ ، ٢٠) .

وهذا أعطى للتلاميذ عيداً جديداً ، وعهداً جديداً .

وأعطاهم فكرة أن جسده سيبذل ، ودمه سيسفك ، عنهم و-
كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٨) (مر ١٤ : ٢٤) . وقال إن هـ
هو الدم الذى للعهد الجديد ...

لم يتركهم يفاجأون بهذا الأمر ، أن يروا دمه يسفك أمامهم ، إنما قال
لهم قبل أن يكون ، حتى إذا كان يؤمنون (يوحنا ١٣ : ١٩) .

عجيب أن يتكلم أحد عن سفك دمه ، بهذا الهدوء ...

وأن يتكلم عن سفك دمه بطريقة موضوعية هكذا ، وسط مظاهر
الفرح والتسبيح ، وهو يحتفل مع تلاميذه بالعيد ...
ولكنه المسيح المحب الخنون ، الذى يفكر فى خلاص البشرية ، وليس
فى ذاته هو أو فى آلامه .

نلاحظ هنا أنه قال دمي الذى يُسفك وليس الدس سُفك .

وكذلك قال جسدى الذى يُبذل وليس الذى يُذل ... ذلك لأن دمه
قد سفك يوم الجمعة ، وجسده قد بذل يوم الجمعة ، ليوم الذى تم فيه
الخلاص ...

إن حديثه يوم الخميس ، كان عن الخلاص الذى سيتم يوم الجمعة .

والفصح الذى احتفل به يوم الخميس ، كان رمزاً للفصح الحقيقى الذى
للعهد الجديد الذى يذبح عنا يوم الجمعة . وكأن الرب أراد أن يقول :

**إن هذا الفصح الذى تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدى الذى يبذل
عنكم غداً ، وإلى دمى الذى يسفك عنكم غداً .**

هذين اللذين اقدمهما لكم على صورة الخبز والخمر . وعلى هذه الصورة
ستصنعون هذا السر لذكرى .

وعبارة « هذا اصنعه لذكرى » أمر يحمل استمرارية هذا السر مدى
الدهور « لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز ، وشربتم هذه الكأس ، تحبرون
بموت الرب إلى أن يجيء » (١ كور ١١ : ٢٦) . وعبارته « إلى أن يجيء »
تحمل معنى أن ممارسة هذا السر العظيم تستمر حتى مجيئه الثانى ، أى إلى
آخر الدهر .

قال إن هذا دمى الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا .

المقصود بالكثيرين أولئك الذين يؤمنون به ، وبفدائه العظيم وفاعلية
دمه لمغفرة الخطايا ، وكذلك يؤمنون بأسراره المقدسة ويمارسونها . ويشترط
أيضاً فيهم أن يكونوا تائبين ، لأن الرب نفسه قد قال « إن لم تتوبوا ،
فجميعكم كذلك تهلكون » (لوقا ١٣ : ٥) .

التوبة إذن لازمة لتناول المؤمنين ، كشرط هام للاستحقاق .

هذا الاستحقاق للتناول الذى شرحه القديس بولس الرسول ... فقال

فى الإصحاح ١١ من رسالته الأولى إلى كورنثوس :

« إذن أى من أكل هذا الخبز ، أو شرب كأس الرب ، بدون استحقاق يكون مجرمًا فى جسد الرب ودمه ... » .
 « لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق ، يأكل ويشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب » .
 « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى ، وكثيرون يرفدون »
 (١ كور ١١ : ٢٧ - ٣٠) .

إذن الأمر خطير ، وعقوبته خطيرة :

من يتناول بدون استحقاق ، يكون مجرمًا فى جسد الرب ودمه ، غير مميز جسد الرب ، قد تصل عقوبته إلى ضربات فى الجسد كالمرض والموت ... لذلك يقول الرسول :
 « ولكن ليمتحن الإنسان نفسه » قبل التناول ...
 « لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا » (١ كور ١١ : ٢٨ ، ٣١) .

فماذا تعنى كلمة الاستحقاق إذن ؟

إن تحدثنا عن الاستحقاق معنى مطلق ، فلن يوجد أحد مستحقاً ... !
 فمن جهة هذا الاستحقاق ، كان القديس العظيم الأنبا رويس - وهو صاحب معجزات - يخاف جداً حين انتقدم للتناول من السرائر المقدسة .
 وكان يقول : إن الذى يتقدم للتناول ، ينبغي أن يكون داخله فى نقاوة أحشاء العذراء القديسة التى حملت المسيح داخلها ... !

من أجل ذلك يقول الأب الكاهن في (صلاة الاستعداد) ...
(وهى صلاة يقولها سرّاً قبل القداس) : أيها الرب العارف قلب كل
أحد ... أنت يارب تعرف أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه
لخدمة المقدسة التى لك . وليس لى وجه أن أقرب وأفتح فأى أمام جسدك
المقدس . بل ككثرة رافاتك ، أغفر لى أنا الخاطيء ، وأمنحنى أن أجد
نعمة ورحمة فى هذه الساعة » ...

ومن أجل هذا يبيق بكل إنسان ، أن يقول قبل التناول :

يارب ، ليس من أجل استحقاق ، وإنما من أجل احتياجى .
ليس من أجل استحقاق ، لكن من أجل علاجى .

معترفين كلنا بأننا غير مستحقين ، وكأئنا نقول للرب : ليست لنا
الطهارة التى نتقدم بها إلى جسدك ودمك . فنحن لسنا طاهرين حتى
نتقدم للتناول ، إنما نحن نتقدم للتناول حتى نكون طاهرين .

نحن نتناول « طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » كما نقول فى
بداية الأواشى فى القداس الإلهى ...

إن الطهارة النسبية التى تناسبنا ، لكى نتقدم إلى التناول عملاً بقول
حى « تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة » (١ صم ١٦ : ٥) ، تتركز فى
« ورهامة منها :

الإيمان ، والتوبة ، والصلح مع الآخرين ، والطهارة الجسدية .

أما عن الإيمان ، فالمقصود به الإيمان المسيحى السليم ، بلا دعة ولا

عمرطقة . وكذلك الإيمان بهذا السر وفاعليته ، وبالشروط التي وضعها الله
لإتمامه ، وحفظت بالتسليم الرسول .

أما عن التوبة ، فالمقصود بها على الأقل ترك الخطية والعزم الحقيقي
على عدم الرجوع ، مع الاعتراف بالخطية والدم عليها .
وقد يتشكك البعض في موضوع التوبة . ونلاحظ أن البعض يمتنعون
عن التناول ، بحجة أنهم مازالوا يخطئون بعد التناول ، إذن فهم لم يتوبوا !
وإذن فهم غير مستحقين ! ولهذا يكون عدم التناول أضمن لهؤلاء . وللرد
على هؤلاء نقول :

إن التناول يعطى طهارة ، ولا يعطى عصمة ...

ولا يوجد أحد معصوماً ، مهما كان باراً وقديساً ، ومهما اعترف
وتناول . هو لا يزال تحت الضعف إلى آخر يوم في حياته ، والضعف
درجات تتفاوت من إنسان لآخر .

أما إكليل البر ، فإن أنديان العادل يهبه للقديسين في ذلك اليوم (٢ تي
٤ : ٨) أي اليوم الأخير . حينئذ لا تكون خطية فيما بعد ...

تناول إذن . وفي كل تناول تأخذ قوة . حتى إن أخطأت ، يكون في
قديك إستحياء من جهة الخطية ، وندم عليها ، ورداته لفلسك .
أما حالة الإستهتار فإنها تمنع من تناول . وكذلك حالة اللامبالاه ،
وحالة العبودية للخطية ، التي يتناول فيها الإنسان وهو مُصر على الرجوع
للخطية . كلها صور تدل على عدم التوبة .

أما عن الصلح مع الآخرين ، فقد أشار إليه الرب بقوله :
إن قدمت قربانك إلى المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً
عليك ، فاترك هناك قربانك أمام المذبح . واذهب أولاً إصطليح مع
أخيك ... » (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) .

إذن الصلح مع الناس لازم للتناول . لأنك لا يمكن أن تتقدم إلى
« ذبيحة الحب » وأنت خال من الحب . ولعلنا نذكر في هذا المجال أننا
نصلي صلاة الصلح قبل البدء في قداس القديسين . ونقول في تلك الصلاة
« إجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا ، أن نقبل بعضنا بعضاً بقبله مقدسة ،
لكي ننال بغير انطراح في دينونة من موهبتك غير المائنة السماوية » .
إذن عدم المصالحة يطرح في دينونة ، إذا تناول الإنسان .

فما معنى المصالحة ؟ وهل يلزم الصلح مع جميع الناس .
المصالحة على الأقل تعني أن القلب خال من الخصام والكراهية . فإن
أمكن المصالحة بالفعل ، وإرجاع علاقات المودة يكون هذا هو الوضع
السلام والواجب . ولكننا في كل هذا ، نتذكر قول الرسول :
« إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس »
(رو ١٢ : ١٨) .

ذلك لأن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن مسالمتهم . فالسيد المسيح لم
يسأله الكتبة والفريسيون والصدوقيون والكهنة والناموسيون ورؤساء
الشعب ، أو خالبيه هؤلاء . ولم يسأله أولئك الذين أسلموه حسداً . وما

كان المطلوب منه أن يذهب أولاً و يصطليح مع هؤلاء لتكون صلته صافية مع الآب .

وبولس الرسول ما كان ممكناً أن يترك قربانه قدام المذبح ، و يذهب أولاً فيصطليح مع إسكندر الحداد الذي فعل به شروراً كثيرة ، وقاوم كلمة الله جداً (٢ قى ٤ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك قال الرسول في المصالحة ومسالمة الآخرين « إن كان ممكناً » وقال « حسب طاقتكم » . ذلك لأن هناك حالات غير ممكنة ...

لا يحسب عليك إن كان عدم المصالحة راجعاً إلى الآخرين ، وليس إليك أنت . أو إن كان ذلك للفائدة الروحية ...

فقد تحاول أن تعيش في سلام مع البعض ، ولا تستطيع ، بسببهم ، وليس بسببك أنت . مثال ذلك الذين يحسدونك على تفوق فيك أو مواهب أعطاه الله لك ، أو لشرقي قلوبهم ، كما حدث أن قايين حسد هابيل ، ورؤساء اليهود حسدوا المسيح . وقد قال المرتل في المزمور « أكثر من شعر رأسى ، الذين ييغضوننى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) . فالذين ييغضونك بلا سبب ، إن لم تستطع مصالحتهم فأنت معذور ، ولا يمنعك هذا من تناول . وكذلك الذين يضطهدونك (يو ١٦ : ٢) .

كذلك هناك أناس تباعد عنهم ، خوف العثرة ، حرصاً على روحياتك .

كأولئك الذين ذكرهم الزمور الأول « مجالس المستهزئين ، وطرق الخطاة » . و « كالمعاشرات الردية التي تفسد الأخلاق الجيدة » . لا يلزمك أن تترك قربانك ، وتذهب لمصطلح مع هؤلاء ...

أما عن ترك قربانك قدام المذبح ، وذهايك أولاً للصالح : فهذا لازم في حالة من تكون قد أخطأت أنت إليه . ولذلك يقول الرب « إن تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك » ، هوله شيء عليك ، أى أنك أنت قد أخطأت إليه . هذا ينبغى أن تذهب وتصلحه وتطيب قلبه من جهتك قبل التناول ، وتنفذ ما ورد في وصية الرب . وحتى إن كان قد أخطأ هو إليك ، فاذهب وعاقبه (مت ١٨ : ١٥) لإرجاع المحبة بينكما .

وعلى أية الحالات ، أنت هنا واحد من اثنين : إما إنك أنت المعتدى ، أو معتدى عليك . إن كنت معتدياً ، أترك قربانك ، وصالح أخاك ، وأصلح خطأك .

وإن كنت معتدياً عليك ، عاقب لتصلح ، أو على الأقل اغفر لأن هناك أصنافاً من الناس لا ينفع العتاب معهم ، وقد يأتي بنتائج عكسية ، أو إنهم في موقف لا يمكنك فيه الذهاب إليهم لكي تعاتبهم . هؤلاء على الأقل اغفر لهم ، ولا تستبق في قلبك حقداً عليهم أو عداوة لهم ...

وتذكروا قول الكتاب « اغفروا يغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) .

هناك طلبية واحدة في الصلاة الربانية ، لم يتركها الرب تمر بدون شرح ، وهى « إغفر لنا كما نغفر نحن أيضاً » فقال « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ٦ : ١٤ ، ١٥) .

هذا من جهة المصالحة ، أما من جهة الإستعداد الجسدى ...
فيلزم أولاً الإستعداد بالصوم ، ولا يعنى من ذلك إلا المرضى ومن فى حكمهم ، الذين لهم حالة خاصة لا يمكن معها الصوم .
والكنيسة تفترض أن يكون الإنسان صائماً قبل تناول مدة لا تقل عن تسع ساعات ، بحيث لا يأكل شيئاً بعد منتصف الليل . وإن حدث استثناء ما فى هذه القاعدة ، لسبب ملزم ، يكون ذلك عن طريق أب الاعتراف ، أو بسماع من رئاسة الكهنوت ...

أما عن الطهارة الجسدية ، فيلزم الإمتناع عن المعاشرات الجسدية ، والبعد عن سيل الجسد . وهكذا يكون الإنسان طاهراً بالجسد ، كما يكون طاهراً بالروح . والوصايا كثيرة فى الكتاب بخصوص هذا الموضوع ، ليس مجاها الآن .

ولا نريد أن يمتنع أحد عن تناول بحجة عدم الإستعداد أو عدم الإستحقاق ، إلا لو كان ذلك رغباً عنه .

فلنحاول أن نستعد بالتوبة . والتوبة فى أيدينا . التوبة عمل يحدث داخل القلب ، فهو بإمكاننا إذن وليس خارجاً عنا . تستطيع الآن أن

تستجيب لصوت الله داخلك ، ولا تقس قلبك ، وترجع إلى الله ، مستفيداً من كل التأثيرات الروحية التي تقدمها لنا روحيات أسبوع الآلام . الأمر في يدك ، والكتاب يقول :

« إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ١٥) .

فليراجع كل إنسان نفسه ، ويرجع إلى الله ، ويشترك في بهجة هذا اليوم المقدس ، الذي تعتبره الكنيسة عيداً ، لكي يتناول في قداس الخميس الكبير أو خميس العهد ، الذي أخذت كل قداسات السنة أصلها الأول منه .

وبكل نقاوة ممكنة ، فلنحاول أن نتقدم للتناول ...

لأنه ليس الجميع يستفيدون فائدة واحدة من التناول ...

إنما حسب استعداد القلب من الداخل ، هكذا تكون الفائدة .

إن الرسل كلهم ، الذين تناولوا يوم الخميس الكبير ، لم يخرجوا جميعهم بفائدة روحية واحدة . فأكثروهم حباً للرب ، أعنى القديس يوحنا الحبيب ، هو الوحيد الذي بعد التناول استطاع أن يتبع المسيح حتى الصليب ، و يسمع كلمة منه ، و يأخذ بركة ...

وبطرس المتحمس ، المنذفع في حبه ، تبع المسيح جزءاً من الطريق ، ولكنه لم يكمل ، ثم أنكر الرب وندم ... مع أن القديس بطرس كان قد تناول من الرب كما تناول يوحنا تماماً ...

أما باقي التلاميذ ، فإنهم تناولوا أيضاً في نفس الوقت ، ولكنهم هربوا

ساعة القبض على الرب ، ولم يسيرا معه ولا مرحلة من الطريق ، إنما استسلموا لضعفهم .

يذكّرنا هذا بالبذار التي وقعت على أرض جيدة ...
وأعطت كلها ثمراً . البذار واحدة ، والزراع واحد . ولكن البعض في إثماره أعطى ثلاثين ، والبعض ستين والبعض مائة .

ليتكّم تجهزون قلوبكم ، لكي تعطى هي أيضاً مثوة ...
وتذكّروا باستمرار البركات العظيمة الناتجة عن تناول .
سواء التي وردت منها في الكتاب المقدس ، أو التي وردت في صلوات
القداس الإلهي . فهوذا الرب يقول في الإنجيل :
« أن هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا
الخبز يحيا إلى الأبد ... من يأكل جسدى ويشرب دمي ، فله حياة أبدية ،
وأنا أقيمّه في اليوم الأخير ... من يأكل جسدى ويشرب دمي ، يشبّ فقى
وأنا فيه » (يوحنا ٦ : ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦) .

وفي القداس الإلهي « يُعطى عنا خلاصاً ، وغفراناً للخطايا ، وحياة
أبدية لكل من يتناول منه » ، ونقول أيضاً « نتناول من قدساتك طهارة
لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » .

لماذا إذن نقصّر في التقدم إلى هذه الطهارة ، وهذا الخلاص
والغفران ، والثبات في الرب ، والحياة الأبدية .

السيد المسيح ، وهو ذاهب إلى الآلام ، منح الكنيسة نعمة التناول ،
وما ينتج عن التناول من بركات عديدة

وفي نفس الوقت أقام بهذا السر عهداً بيننا وبينه .

نعم ، لقد دخلنا بالتناول في عهد مع الرب ، أنه كلما أكلنا وشربنا
من هذه السرائر المقدسة ، أن نبشر بموته ، ونعترف بقيامته ، وأن نذكره إلى
أن يجيء .

نبشر بموته ، أي موته عنا ، هذا الموت الذي نلنا به الخلاص والفداء ،
وأصبحنا مقدسين بدمه ، وقد طهرنا هذا الدم من كل خطية (١ يوحنا : ٧)
لأنه قال : خذوا اشربوا هذا هودمي الذي للعهد الجديد ، الذي يسفك
عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مر ١٤ : ٢٦) . وفي هذه الآية وضح الرب
أمرين :

١- أن دمه هو العهد الجديد ، لذلك نقول (خميس العهد) .

٢- أنه لمغفرة الخطايا ، أي للخلاص .

إنه حقاً أمر مفرح ، يليق بنا أن نبشر به ، أي نعلن لكل أحد عن هذا
الخلاص الذي نلناه .

فهل نحن حقاً أمناء على هذا العهد ...

هل نعتبر كل يوم نتناول فيه يوم عيد ، قائلين : هذا هو اليوم الذي
صنعه الرب ، فمتفرح ولنتبجح فيه ، كما نعتبر يوم الخميس الكبير هذا
عيداً ...

وهل نهدرك تماماً ، كيف طهرنا الرب بهذا الدم الذى يسفك مُنشرة الخطايا ، وصيرنا به قديسين ، كما فى القداس :

القدسات للقديسين ...

لعل عبارة « القديسين » هذه ، تبكتنا من الداخل ، من جهة عدم استحقاقنا ، وأيضاً تدفعنا إلى قدام لكى نسلك كما يليق بأناس قد قدسهم الرب بدمه وطهرهم من كل خطية ...
إذن ما أجل أن نبشربوته ، الذى وهبنا كل هذا .

عبارة أخرى دخلنا فيها فى عهد مع الرب هى :
أن نذكر الرب ، إلى أن يجيء ...

ما معنى كلمة نذكره ؟ هل معناها أن يكون الرب فى أذهاننا باستمرار ، كما يقول المثل « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع » أم معناها قول المثل « محبوب هو اسمك يارب ، فهو طول النهار تلاقى » أم معناها أن نذكر الرب فى كل ما فعله من أجلنا : فى إخلائه ذاته ، وتجسده ، وتعليمه ، ومحبه ، وآلامه ، وصلبه ، وقيامته ، وصعوده إلى السماء وجسوسه عن يمين الآب ... بكل ما تحمل هذه التذكريات من معان ومن روحيات .

أم المقصود أن نذكر كل هذا معاً ، ونظل نذكره إلى أن يجيء .

وفى عبارة « إلى أن يجيء » إيمان بالجيء الثانى للرب .

ما يحسن هذا الإيمان من إنتظار الجيء الرب ، واستعداد هذا الجيء ،



وسهر دائم في هذا الإستعداد لأنه
« طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء
سيدهم يجدهم ساهرين » (لوقا ١٢ :
٣٧) .

ولا ننس أيضاً أن التناول هو
شركة للمؤمنين ... يجتمعهم كنهم
بإيمان واحد ، حول مائدة واحدة ،
وكهنوت واحد .

فليعطنا الرب بركة هذا اليوم ،
وبركة هذا السر العظيم الذي
لخلاصنا .

آمين



اهتمام الرب بتلاميذه

أهم ما تميزت به علاقة السيد المسيح ربنا بتلاميذه ، هوتلك المحبة الكبيرة جداً ، التي بها نزل من السماء وأخلى ذاته ...
ولكن محبة السيد الرب ، ظهرت في أعظم صورة لها ، في الأسبوع الأخير، أسبوع الآلام ...

تكفى هذه العبارة التي يقول فيها الإنجيل المقدس :
« إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١) .

عبارة « حتى المنتهى » هذه ، يغوص فيها التأمل ما شاء ، ولا يمكن أن يدرك أعماقها ...

كان الرب يعرف أن حادثة الصلب هذه ، يمكن أن تتعب تلاميذه ، إذ يجدون معصمهم العظيم ، المبهرفي معجزاته ، محترقاً ويسمر بالمسامير ...
وأخيراً يموت وسط ضروب الاستهزاء ...

لذلك نرى الرب ، خلال هذا الأسبوع ، وقد أهتم جداً ...
كيف يعد تلاميذه - نفسياً وروحياً - لمواجهة موضوع صلبه .
كان هذا الموضوع يشغله جداً . فلم تشغله ذاته هو : لا عملية القبض عليه ... ولا محاكمته وما فيها من شهود زور ومن تهم ملفقة ، ولا الإهانات الكثيرة التي تصيبه من ضرب ولطم وشتائم ، مع عبارات التحدى والإستفزاز ... ولا نقله من مكان لآخر ليواجه حنان وقيافا ، وبيلاطس

وهيرودس ... ولم يشغله ما سيتحملة من آلام وعذابات في الشوك والجلد
والمسامير والصليب

إنما كان عمق قلبه في غيره . وكان إنشغاله بأمرين :
كيف يخلص العالم ، وكيف يحفظ تلاميذه في هذه التجربة .
كان يريد أن يحفظهم في تلك الساعات الرهيبة . عليهم لا عليه . -
لا تهتز الكنيسة كلها إن اهتز إيمانهم به .
كان يريد أن يثبت إيمان هؤلاء التلاميذ ، سواء في أحداث ما قبيل
الصليب . وأثنائه ، وبعد الصليب .

معروف أنه بعد الصليب والقيامة ، ظهر لهم لتثبيتهم .
ظهر لمريم المجدلية ، ولطرس ، ولتلميذى عمواس ، وللنسوة
القديسات ، وللأحد عشر ، وظهر لأكثر من خمسمائة أخ ، كما ظهر فيما بعد
لشاؤل الطرسوسى . وقضى مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة ، يشبههم
ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ...
كل هذا بعد القيامة . ولكن قبل الصليب كيف ثبتهم ؟

١ - قبل الصليب بستة أيام ، أقام لعازر من الموت (يوا ١١) .
وذلك بعد أربعة أيام من موت لعازر ، بعد أن قيل عنه إنه أنتن .
وكان لهذه المعجزة العظيمة دوى كبير ، فأمن به كثيرون وأعطى بها
لتلاميذه فكرة عملية عن القيامة من الموت ، حتى بعد فقد كل أمل ... إنها
معجزة تسند إيمانهم ، من جهة قدرته ، ومن جهة قيامته ، إن راوه يموت ...

٢ - وقبل إقامة لعازر ، وهب البصر للمولود أعمى (يوحنا ٩) .

وهي معجزة واضحة تدل على لاهوته ، إذ فيها القدرة على الخلق ، وقد خلق عينين من طين . وأحدثت هذه المعجزة أيضاً دويلاً ، حتى أن ذلك الأعمى نفسه قال بعد إبصاره « منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى » (يوحنا ٩ : ٣٢) . وإنهت المعجزة بأن هذا الأعمى آمن أن السيد المسيح هو ابن الله وسجد له (يوحنا : ٣٨) .

أراد السيد بهاتين المعجزتين ، أن يسند إيمان التلاميذ أيضاً .

فبالإضافة إلى عمل المحبة من جهة المولود أعمى ، ومن جهة لعازر وأسرتهم ، كانت لهاتين المعجزتين نتائج أخرى : بعضها في نفس الوقت إذ آمن كثيرون . وبعضها ظل مختزناً إلى وقت الصلب ، لتقوية إيمان من يضعفون ...

ومادا أيضاً ؟ ماذا فعله أيضاً لتقوية إيمان تلاميذه ؟

٣ - أظهر لهم سلطانه أثناء تطهيره الهيكل .

وذلك في يوم أحد الشعانين ، اليوم التالي لمعجزة إقامته لعازر من الموت . دخل أورشليم كملك ، والشعب كله يهتف له ، ويستقبله بأغصان الزيتون وسعف النخل .

وفي تلك المناسبة قام بتطهير الهيكل في قوة وسلطان ، وهو يقول عنه « بيت أبى » ، ويوبخ الكهنة ورؤساءهم بقوله « جعلتموه مغارة لصووس » ... ولم يستطع أحد أن يقاومه ... كان أقوى من كل مقاومة .

كان سيد الموقف . وكل عبارة سمعها رد عليها بقوة وبحجة لا تحتل
الجدل .

وكل هذا رفع معنويات التلاميذ . وماذا أيضاً ؟

٤ - نفس القوة وبخ جميع القيادات اليهودية .

وبخ الكهنة مثل الكرامين الأرياء . وقال لهم « ملكوت الله ينزع
منكم ، ويعطى لأمة تصنع ثماره » (مت ٢١ : ٤٣) .

وأبكم الصدوقين في موضوع قيامة الأموات (مت ٢٢ : ٣٤) .
وكذلك الناموسيين أيضاً . ووبخ الكتبة والفريسيين في عنف ، قائلاً
« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون » (مت ٢٣) .

وكان أقوى من الكل ، حتى قال عنه متى البشير : « فلم يستطع أحد
أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يحسر أحد أن يسأله البتة » (مت ٢٢ :
٤٦) .

وكل ذلك كان يقوى معنويات التلاميذ ، و بشعرهم بقوة معلمهم ،
و بعدهم بل تجربة المقبلة... وماذا أيضاً ؟

٥ - لعن شجرة التين غير المثمرة ، فبيست في الحال .

وكانت هذه الشجرة ، ترمز إلى الرياء ، لوجود مظهر حياة ، ورق
أخضر ، ولكن لا ثمر . وبعنتها لعن الرياء . ودل لرب هدا على لاهوته
وسلطانه على الطبيعة . فبكلمة منه يبست الشجرة ...

« فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة في
الحال » (مت ٢١ : ٢٠) . فأعطاهم الرب درساً في الإيمان ، وقال لهم

« الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ، ولا تشكون ، فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل إنتقل وإنطرح في البحر ، فيكون » ...
« إن كان لكم إيمان ولا تشكون » عبارة ليثا تثبت معهم وقت صلب معلمهم وموته ودفنه ... وماذا أيضاً ؟

٦ - غسل الرب أرجلهم ، رمزاً للنقاوة .
وبعد أن غسل أرجلهم ، قال لهم : أنتم الآن طاهرون ... (يوحنا ١٣ : ١٠) ، لعلهم بهذه الطهارة يشبتون ، بالقوة التي أخذوها من غسل الرب لأرجلهم ... ماذا أيضاً ؟
٧ - أعطاهم أيضاً سر الإفخارستيا ...

منحهم جسده ودمه الأقدس ، لكي يمنحهم قوة روحية بهذا السر العظيم ، إذ سبق أن قال لهم « من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يشبت فيّ وأنا فيه » (يوحنا ٦ : ٥٦) . إذ قد كان هذا سرّاً للثبات في الرب ، ينفع التلاميذ في ساعة التجربة . إذ كان الرب يطعم طبيعتهم الضعيفة ، طبيعة أقوى وأسمى منها ...

وفي نفس الوقت كان يمهّد أفكارهم لقبول الخبر « هذا هو جسدي لذى يبذل عنكم ... و... دمي الذي يسفك عنكم » (لوقا ٢٢ : ١٩ ، ٢٠)
« الذي يسفك من أجل كثيرين » (مرقس ١٤ : ٢٤) « الذي يسفك من أجل كثيرين لغفرة الخطايا » (متى ٢٦ : ٢٨) .

عبارة « سمك دمه » هذه ، كانت تمهيداً ، حتى لا يفاجأوا بما حدث في نفس الليلة وفي ثاني يوم .

٨ - وهكذا كاشفهم بالحقيقة حتى لا يفاجأوا ...

قال لهم أكثر من مرة « أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، ويمتل ، وفي اليوم الثالث يقوم » (مت ١٦ : ٢١) وأيضاً قال لهم « ها نحن صاعدون إلى أورشليم ، ونابس الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ، فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويحدوه ويصصوه . وفي اليوم الثالث يقوم » (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) .

وهكذا كان يربط في حديثه الصلب والقيامة ، لتعزيتهم ...
وقبل الفصح بيومين ، كرر عليهم نفس الخبر فقال « تعملون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وابن الإنسان يُسَم ليُصَّب » (مت ٢٦ : ٢) . وفيما هم يتناولون الفصح معه ، قال لهم « واحد منكم سيسلني » .

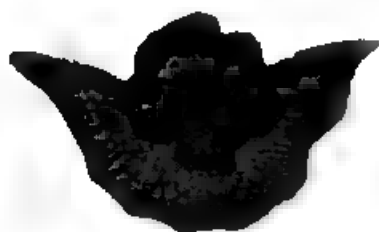
٩ - وبعد الفصح والعشاء الرباني ، جلس معهم جلسة طويلة .
هذه الجلسة سجلها القديس يوحنا في أربعة أصحاحات من إنجيله (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ، كلمهم فيها بصراحة كاملة ، وعرفهم بكلام كثير ، فه حديث عن القيامة ، وعن الروح لقدس وعمله فيهم ، وفيه صائح لهم . ونرجو أن نعرض لهذا الحديث بالتفصيل .

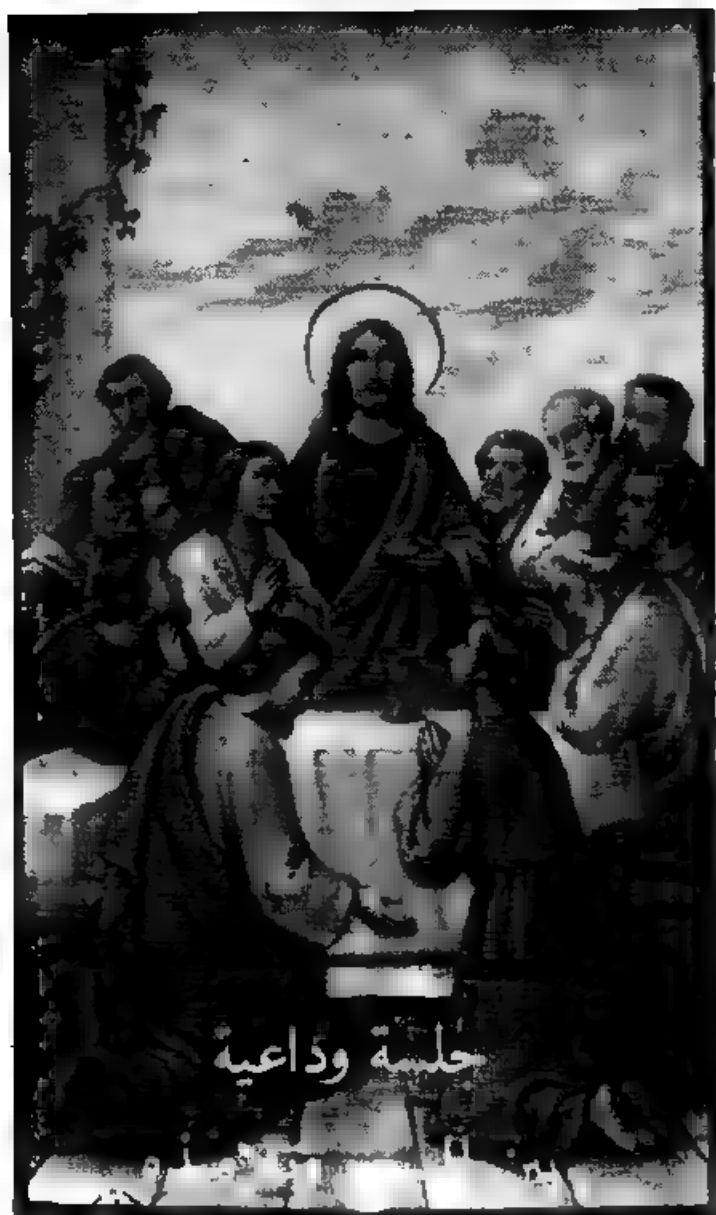
١٠ - وظل إهتمامهم بهم ، حتى أثناء القبض عليه .
فعندما جاء الجند ليقبضوا عليه ، قال لهم « إني أنا هو . فإن كنتم تطلبونني ، دعوا هؤلاء يذهبون ... ليتم القول الذي قاله » إن الذين

أعطيتني ، لم أهلك منهم أحداً» (يو ١٨ : ٨ ، ٩) .
وهكذا كان مشفقاً على تلاميذه ساعة القبض عليه ، مهتماً بهم أكثر
من اهتمامه بنفسه . يهيم أن يكونوا طلقاء ، وأن يفتتوا من الجسد . أما هو
فليسلم نفسه و يقبض عليه ...

١١ - حتى وهو على الصليب أيضاً .
إهتم بخاصته كذلك ، وهو في عمق آلامه ...
فلم يترك أمه العذراء وحيدة ، إنما عهد بها إلى تلميذه الحبيب يوحنا .
« ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » (يو ١٩ : ٢٧) . وكان
في ذلك بركة لهذا التلميذ ، إذ اهتم به الرب ، ووهبه أمّاً روحية ، هي
أقدس أم وأحن أم ، في هذا العالم كله ...

ومن إهتمام المسيح بتلاميذه حديثه الوداعي لهم .
١٢ - وأيضاً صلاته الطويلة من أجلهم .
فلتناول هذين الموضوعين بتفصيل أكثر ...





في الحقيقة إن الإنسان لابد أن يتردد كثيراً قبل أن يتكلم عن جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه . فنسأل أولاً :

أحقاً ودع المسيح تلاميذه ؟

الوداع معناه الترك . والمسيح لم يتركهم مطلقاً ، هذا الذي قال لهم « حينئذ اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي ، فهناك أكون في وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . وهو الذي قال لهم أيضاً قبيين الصعود « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . ولكنه على أية الحالات كان تركاً بالجلسد ، وإلى حين .

ومع ذلك كان الأمر صعباً عليهم . وكان الرب يعرف هذا ، لذلك جلس معهم يخفف عليهم ويعزهم .

كان يعرف أن هذا الأمر صعب عليهم . ويظهر هذا من قوله لهم « لأنني قلت لكم هذا ، قد ملأ الحزن قلوبكم » (يو ١٦ : ٦) . فما هو هذا الأمر الذي قاله لهم فحزنوا ؟ إنه قوله لهم « أما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني » .

كان لابد أن يواجههم الرب بالواقع الذي سيحدث ...

ثم بعد ذلك يعالج تأثير هذا على مشاعرهم .

أما عن هذا الواقع ، فقال لهم « يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً

بعد . وكما قلت لليهود : « حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا »
(يوحنا : ١٣ : ٢٣)

وكان لابد أن يرد على سؤالهم الذى يقولونه :

« إلى أين تذهب ؟ » (يوحنا : ١٣ : ٣٦) .

« لسنا نعلم أين تذهب ؟ » (يوحنا : ١٤ : ٥)

كان لابد أن يجيب المسيح ، وبصراحة . فماذا أحاب ؟

قال : إني ذاهب إلى الآب (يوحنا : ١٦ : ١٦) .

وبعد قليل لا تبصروننى (يوحنا : ١٦ : ١٧) . وماذا أيضاً ؟

إنكم ستكون ، والعالم يفرح (يوحنا : ١٦ : ٢٠)

وكان لابد أن يقول لهم حقيقة أخرى ، بالإضافة إلى ذهابه وهى :

إن كانوا قد اضطهدونى ، سيضطهدونكم » (يوحنا : ١٥ : ٢١) .

ولتعزيزهم أعطاهم الرب رجاء فى كل شىء .

فمن جهة ذهابه ، سيرونه مرة أخرى ...

إن عبارة « لا تبصروننى » أو « لا تروننى » هى نصف الحقيقة ،

لنصف المؤلم . فما هو النصف الآخر المعزى ؟

قال لهم الرب « بعد قليل لا تبصروننى . ثم بعد قليل أيضاً تروننى »

(يوحنا : ١٦ : ١٧) . « بعد قليل لا يراى العالم . وأما أنتم فتروننى » (يوحنا : ١٤ : ١٩) .

معنى أن العالم لا يراك ، إنك ستموت . فكيف نراك نحن إذن ؟

يجيب المسيح عن هذا الفكر . بقوله « إني أنا حى » « فى ذلك اليوم

تعلمون إني أنا في أبي ، وأبي فيّ » « الذي يحبنى ... أظهر له ذاقى »
(يو ١٤ : ١٩ - ٢١) .

أعطاهم إذن فكرة عن قيامته ، وإنهم سيرونه .
كان قد قال لهم إن ابن الإنسان سيصلب ، وفي اليوم الثالث يقوم
(مت ٢١ : ١٦) (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) . وهو اليوم يؤكد لهم هذه الحقيقة
في عبارات كلها حب :

« لا أترككم يتامى . إني آتى إليكم » (يو ١٤ : ١٨) .
نصف الحقيقة « إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح » . فما هو
النصف الآخر المضى ؟ إذن ؟ أنه « ستحزنون ، ولكن حزنكم سيتحول
إلى فرح ... سأراكم أيضاً ، فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم »
(يو ١٦ : ٢٠ ، ٢٢) .

عجيب هو الرب ، إنه في وداعة ، يتحدث عن الفرح .
كان يؤله جداً حزن تلاميذه بسبب فراقه لهم . إنه يعرف تماماً مقدار
عحبته لهم . أما عن محبته هو ، فيكفى قول الكتاب عنها « إذ كان قد أحب
خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ٢) . وقلب الرب
حساس جداً من جهة راحة هؤلاء الذين يحبهم ومحبونه . لذلك يقول لهم
هنا : لا أترككم يتامى .

عبارة « يتامى » هنا ، تشعرهم بأنهم أولاده .
وهو في هذه الجلسة يستخدم أيضاً تعبير « يا أولادى »

« يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً بعد » (يو ١٣ : ٣٣) .
 أنتم أولادى ، وأنا أعلم أنكم تتيتمون من عدى ، ولكنى لا أترككم
 يتامى ، ولا أترككم حزاني ، سأتى إليكم . سأراكم فتفرح قلوبكم . لا
 أترككم مطلقاً للحزن ، فأنا لا أحتمل حزنكم ...
 أريد فى هذا الوداع الصعب ، أن أفرح قلوبكم ، وأقول لكم إن
 حزنكم هو إلى حين ، وحين بسيط ، فبعد قليل سترونى .

أنتم لست فقط أولادى ، بل أحبائى أيضاً .
 « أنتم أحبائى ، إن فعلتم ما أوصيتكم به . لا أعود أسمىكم عبيداً ...
 لكنى قد سميتكم أحباء » (يو ١٥ : ١٤ ، ١٥) . أنا سأضع نفسى عنكم
 « ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه »
 (يو ١٥ : ١٣) . « كما أحيى الآب أحببتكم أنا . إثبتوا فى محبتي »
 (لو ١٥ : ٩) .

جميل أن تكون جلسة الوداع ، هى حديث حب كهذا .
 ويضيق الرب فى تعزيتهم لهم تشبهاً جليلاً ، يشعرهم أنه لا
 انفصال بينه وبينهم ، وهو علاقة الكرمه بالأغصان .
 فيقول لهم « أنا هو الكرمه ، وأنتم الأغصان » (يو ١٥ : ٥) . إننا
 معاً ، « أنتم فنى ، وأنا فيكم » علاقتى بكم ، كعلاقة الرأس بالجسد . لستم
 غرباء عني . إثبتوا فنى . وأنا فيكم ، كما يثبت لغصن فى الكرمه ، حينئذ
 لا يكون وداع بنى وبينكم ، لأنه لا يكون فراق أبداً .

ما أجله تشبيه ، كله حب وعاطفة وعزاء ، في ساعة كهذه .
مبارك أنت يارب في كل تعزياتك الجميلة ...

يضيف أيضاً بأن ذهابه هو للفائدة وللفرح .

فيقول لتلاميذه « لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع . سمعتم أني قلت لكم إنى ماض ، ثم آتى إليكم . لو كنتم تحبوننى ، لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب » (يوحنا : ١٤ ، ٢٧ ، ٢٨) .

نعم ، لأنه بهذا تنتهى عبارة « أخلى ذاته » (في ٢ : ٦ ، ٧) . هناك سأرجع إلى ما قبل إخلاء الذات ، وذلك أعظم ... لذلك إن كنتم تحبوننى ، ستفرحون إنى أمضى .

ثم أن ذهابى نافع لكم ، لأعد لكم مكاناً .

« لا تضطرب قلوبكم ... في بيت أبى منازل كثيرة ... أنا أمضى لأعد لكم مكاناً . وإن مضت وأعددت لكم مكاناً ، آتى أيضاً وأخذكم إلئى ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يوحنا : ١٤ - ١ : ٣) . نعم ، ستكون معاً باستمرار .

ولكن وجودنا الدائم معاً ، سيكون هناك وليس هنا .

لا تضطرب قلوبكم ، فهذا أفضل . أما ها ، فإنى أترك لكم سلامى « سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيك » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) إنه سلام من نوع آخر ، سلام روحى ثابت ، ليس كالسلام الذى يعطيه العالم ... لكن كيف يكون لنا سلام يارب ، وأنت بعيد عنا ؟

هنا الفائدة الثالثة من ذهابي . أرسل لكم الروح القدس :

وقد أفاض الرب في حديثه عن هذه النقطة بالذات :

فقال لهم إن الروح القدس هذا ، هو الروح المعزى ، الذى سيكون سبب عزاء لهم . وقد كرر عبارة (المعزى) أكثر من مرة . فقال لهم : « لأنه إن لم أنطلق ، لا يأتىكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله لكم » (يوحنا ١٦ : ٧) ، لذلك :

« أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق » (يوحنا ١٦ : ٧) .

« وأما المعزى الروح القدس الذى يرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شئ ، و يذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا ١٤ : ٢٦) « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً » (يوحنا ١٥ : ٢٦) « ومتى جاء ذلك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يوحنا ١٦ : ١٣) .

وأضاف الرب فى تعزيته لتلاميذه ، بأن هذا الروح المعزى سيمكث معهم إلى الأبد ، وسيكون فيهم (يوحنا ١٤ : ١٦ ، ١٧) .

هذا يذكرنا أيضاً بما قاله لهم قبيل الصعود « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) ... كان الحديث عن الروح القدس تعزية كبيرة للتلاميذ ...

نلاحظ فى وداع المسيح لتلاميذه إنه كان صريحاً معهم

أراد أن يعزهم على أساس الحق والواقع ، ويقوى قلوبهم ولكن بدون حياء الحقائق ، كما كان صريحاً معهم من جهة أخطائهم ومن جهة

المتاعب التي ستصادفهم ، بعد صلبه .

كان هذا نافعاً لهم من جهة الإيمان ، واتقاء المفاجأة .

قال لهم « أقول لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون »
(يوحنا : ١٩) (يوحنا : ١٤ : ٢٩) « كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة ،
تذكروني أني قلت لكم » (يوحنا : ١٦ : ٤) .

كان صريحاً معهم في ذكر ما سيصدر عنهم من أخطاء .

قال لهم إن الشيطان مزعج أن يغر بلكم ، وإنكم كلكم تشكون فيّ
في هذه الليلة ، وقال تأتي ساعة وقد أنت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى
خاصته وتتركوني وحدي . وقال لبطرس ستنكرني ثلاث مرات . وحتى
يهوذا قدم له الرب تحذيرات . فقال واحد منكم سيسلمني ، وحدد ذلك
بقوله الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، وقال له موبخاً « ما أنت تعمله
فاعمله بأكثر سرعة (يوحنا : ١٣ : ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧) .

وكان صريحاً معهم في ذكر المتاعب التي سيتعرضون لها .

فقال لهم « إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم » « إن كان
العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم » « لأنكم لستم من العالم ...
لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا : ١٥ : ١٨ - ٢٠) بل قل لهم أكثر من هذا
« سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه
يقدم خدمة لله » (يوحنا : ١٦ : ٢) . حقاً إن الصراحة في هذه الأمور أفضل .
لذلك قال لهم في هذا المجال « قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا .

إن السيد المسيح واضح في هذا الأمر منذ البداية ، منذ حديثه عن الباب الضيق وعن حمل الصليب . ولكنه أيضاً يخلط الحديث عن الضيقة بالعزاء ، فيقول لهم « في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يوحنا : ١٦ : ٢٣) . ومادام قوتي معكم مستغلبونه ...

نلاحظ في هذه الجلسة الداعية ، إنه أعطاهم وعوداً كثيرة : بعضها من جهة ظهوره لهم مثل « أنا آتي إليكم » « بعد قليل ترونني » « أعد لكم مكاناً ... آتي وأخذكم إليّ ... » .. وعود أخرى من جهة إرساله الروح القدس إليهم ، وعمل هذا الروح فيهم ومكونه معهم إلى الأبد ... وأيضاً وعود أخرى من جهة طلباتهم ، فقال لهم « كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم » « اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً » (يوحنا : ١٦ : ٢٣ ، ٢٤) « مهما سألتكم باسمي ، فذلك أفعله ... إن سألتكم شيئاً باسمي فإني أفعله » (يوحنا : ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

ولعل من الوعود المعزية جداً ، والمعجبية أيضاً ، قوله لهم : « الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بي ، فالأعمال التي أنا أعملها ، يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها » (يوحنا : ١٤ : ١٢) .

وفي جلسته الداعية معهم ، زودهم بوصايا . فمن جهة علاقتهم ببعضهم البعض ، أعطاهم وصية واحدة لا غير وهي « هذه هي وصيتي ، أن تحبوا بعضكم بعضاً » . وإلى أي حد يارب يكون هذا الحب ؟ فيكمل وصيته قائلاً : « ... أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما

أحببتكم» (يو ١٥ : ١٢) . ومن يستطيع هذا ، أن نحب بنفس الحب الذى أحببتنا به ، حتى بذلت ذاتك عنا ، الحب الذى قيل فيه «... أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣ : ١) .
ولكن الرب يكرر نفس الوصية ، فى نفس الجلسة لوداعية : «وصية جديدة أنا أعطيتكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً» (يو ١٣ : ٣٤) و يعتبر الرب أن هذه المحبة التى مثل محبته ، علامة التلمذة له ، فيقول «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب ، بعضكم لبعض» (يو ١٣ : ٣٥) .

إنه مستوى سامى جداً من الحب ، يطلبه الرب منا .
نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا هو . وكيف أحبنا هو ؟ يعمق الرب مفهومنا لهذا الحب ، فيقول «كما أحبني الآب ، كذلك أحببتكم أنا . أثبتوا فى محبتى» (يو ١٥ : ٩) . أصرحك يارب أن الأمر قد ازداد صعوبة فى الفهم ، أو صعوبة فى التنفيذ . وهنا نعرض وصية المحبة كما أعطيت لنا ، فى ثلاث نقاط :

- أ - الآب أحب الإبن (وهى محبة غير محدودة بلا شك) .
- ب - والإبن أحبنا ، بنفس المحبة (غير المحدودة) اتى أحبه بها الآب .
- ج - والمطلوب أن نحب بعضنا بعضاً بهذا الحب .

ها مطانية يارب أمامك . أعترف أننا لم نصل ولن نصل مطلقاً إلى مستوى هذا الحب . حقاً إنها وصية جديدة .

جديدة في مفهومها ، وجديدة في مستواها ، وجديدة في هذا التشبيه
الذى شبهت به ... إننا مهما أحببنا ، ومهما بذلنا ، فلن نصل إلى محبة الابن
سأ ، أو إلى محبة الآب للابن .

لهذا نتضع أمامك ، ونطلب أن تسكب فينا هذا الحب من عندك .
من الروح القدس ، لأن الطاقة البشرية وحدها لا تستطيعه ... محب
بعضنا بعضاً ، كما أحبنا ! وكيف ذلك ؟

لقد أحب المسيح تلاميذه ، في محبتهم له ، وفي ضعفاتهم .
كما أحبهم وهم يحبونه ، أحبهم أيضاً في خوفهم وفي ضعفهم وفي
هروبهم . قال لبطرس مستنكرني ثلاث مرات . ولم يقل ذلك في إنفعل ،
ولا في غضب ، إنما في حب وإشفاق ، وهو يقول معها « طلبت من أجلك
لكى لا يفنى إيمانك » . إنه يحبنا في سقطاتنا وضعفاتنا ، لكى يخلصنا من
هذه السقطات والضعفات ... « فيما نحن خطاة ، مات المسيح لأجلنا »
(روم : ٥ : ٨) .

وفي البستان ، حينما تركوه وحده وناموا ، قبل أيضاً ضعفهم
بإشفاق ، ونسب الضعف إلى الجسد فقط ، وقال عنهم « الروح نشيط ،
أما الجسد فضعيف » (مت ٢٦ : ٤١) « ناموا الآن واستريحوا » .

وسياق الوقت الذى أعطى فيه نشاطاً للروح والجسد معاً ...
أنتم الآن ضعفاء . هذا حق . لذلك لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة
من الأعالي » (لوقا ٢٤ : ٤٩) . وهذه القوة ستنالوها حين يحل الروح
القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) .

أنا لا أحتقر الضعف ، إنما في حبي أمنح القوة .

هذه محبتي لكم . فماذا ستكون محبتكم لى ؟

سأضرب لكم مثلاً لهذه المحبة « أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان »

(يوه ١٥ : ٥) . إذن نحبك يارب ، كما يحب الغصن كرمته ، إذ لا حياة له

بدون الثبات فى الكرمة . إن انفصل عنها يجف ويموت .

لذلك قال لهم الرب فى جسسه الوداعية « اثبتوا فى محبتى » « الذى

يثبت فى وأنا فيه ، هذا يأتى ثمر كثير » (يوه ١٥ : ٥) .

وماذا عن الذى لا يثبت ؟ قال الرب لهم « إن كان أحد لا يثبت

فى ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ، ويجمعونه ويطرحونه فى النار

فيحترق » ولذلك « اثبتوا فى ، وأنا فيكم » « اثبتوا فى محبتى » (يوه ١٥ :

٤ ، ٥) . ولعل التلاميذ يسألون :

كيف نستطيع يارب أن نحبك ، ونثبت فى محبتك .

يجيبهم الرب فى هذه الجلسة الوداعية « أن حفظتم وصاياى تثبتون فى

محبتى ، كما إني أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته » (يوه ١٥ : ١٠) .

إذن فالمحبة ليست مجرد عاطفة ، ولا يليق بنا أن نحب بالكلام

واللسان ... » (١ يوه ٣ : ١٨) .

فحببتنا للرب ، نظهر فى حفظنا لوصاياها ...

وهنا ذكر المسيح تلاميذه بوصاياها ، بكل ما سمعوه منه قبل ، لكى

يعملوا به . ولكن ماذا يحدث إن نسوا ما قاله لهم ؟ لقد طمأنهم من جهة

هذا أيضاً . وقال لهم : سأرسل لكم الروح القدس المعزى . وذلك
« يذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٦) .

لقد إهتم المسيح بتلاميذه ، الذين أتمنهم على نشر الإنجيل .
بذل كل الجهد لكى يشبتهم ، لأن فى ثباتهم ثباتاً للكنيسة كنها ،
وثباتاً للإيمان الذى سيجاهد هؤلاء من أجله .
ومادام الأمر أمر الإيمان ، بذلك نرى أن المسيح فى هذه الجلسة
الوداعية ، قد تكلم معهم فى أمور إيمانية .

فى جلسته معهم ، شمل حديثه أيضاً عقيدة الثالوث القدوس .
فحدثهم عن الآب والروح القدس وعن ذاته ...
ذكرنا ما قاله لهم عن الروح القدس ، وعمله فيهم ، وحبوله عليهم ،
ومكوته معهم ، وإرشاده لهم ...

كذلك ما أكثر الحديث الذى قاله فى تلك الجلسة عن الآب « أنا
ماض إلى أبى » « من عند الآب خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك
العالم وأرجع إلى الآب » (يوحنا : ١٦ : ٢٨) .

« المعزى الذى سيرسله الآب بإسمى » « الذى سأرسله أنا إليكم
من الآب ، الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى » (يوحنا : ١٥ : ٢٦)
(يوحنا : ١٤ : ٢٦) . هاتان آيتان ، كل منهما واضحة فى حديثها عن الثالوث
القدوس .

أما عن علاقة الآب بالإبن ، فقال لهم :

« أنا في الآب والآب في » « الذي رأى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩-١١) . وكان قد قال لهم من قبل « أنا والآب واحد » (يو : ٣٠) .

وقد كرر هذه المعلومات ، في صلاته لأجلهم .
فقال للآب « احفظهم في إسمك الذين أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما نحن » (يو ١٧ : ١١) . فأعلن هنا أنه والآب واحد... وكرر هذا المعنى أيضاً في صلاته فقال « ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن واحد . أنا فيهم ، وأنت في ، ليكونوا مكمّلين إلى واحد » (يو ١٧ : ٢٢ ، ٢٣) . وقال أيضاً « ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب في ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (يو ١٧ : ٢١) .
إنه يقدم لهم العقيدة في كلامه ، وفي صلاته .

ثم يتحدثهم عن الآب الذي يحبهم ...
فيقول « الذي يحبني ، يحبه أبى ، وأظهر له ذاتي » (يو ١٤ : ٢١) .
« إن أحبني أحد ، يحفظ كلامي ، ويحبه أبى ، وإليه تأتي ، وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ٢٣) ... إنه يريد أن يربطهم بالآب ، فيحدثهم عن الآب وعيبته لهم . وهكذا يقول « تأتي ساعة ، حين لا أكلمكم بأمثال ، بل أخبركم عن الآب علانية ... لأن الآب نفسه يحبكم ، لأنكم قد أحببتموني ، وآمنتم أني من عند الآب خرجت » (يو ١٦ : ٢٥ ، ٢٧) .

وفي صلاته عنهم ، يريدهم أن يعرفوا الآب .

فيقول « أيها الآب ... مجد إبنك ... هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يوحنا : ١٧ : ٣-١) .

لقد عرف التلاميذ المسيح . ولكنه يريد أن يعرفهم بالآب أيضاً ، ويعرفهم أن كل شيء هو من الآب . وقد نجح في كل هذا ، إذ يقول في صلاته لله الآب :

« أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتني من العالم ... والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك » (يوحنا : ١٧ : ٦ ، ٧) .

المسيح وهو ماضٍ إلى الآب ، يربط تلاميذه بالآب : وهكذا يقول : أيها الآب البار ، إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك . وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني . وعرفتهم إسمك ، وسأعرفهم ، لكي يكون فيهم الحب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم .

وهذا الحب ، طلب من الآب أن يحفظهم . وهكذا قال في صلاته « لست أنا بعد في العالم . وأما هؤلاء فهم في العالم ... أيها الآب القدوس ، أحفظهم في إسمك ... لست أسألك أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير » .
« حين كنت أنا معهم في العالم ، كنت أحفظهم ... أما الآن فإني آتي إليك » ... أحفظهم في إسمك (يوحنا : ١١-١٥) .

والمسيح يصل أيضاً أن يكون معهم باستمرار :

فيقول « أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذي أعطيتني يكونون معي ،
حيث أكون أنا » (يو ١٧ : ٢٤) .

إنها عبارة مؤثرة ، تدل على مدى الحب العميق الذي في قلب السيد
المسيح من نحو تلاميذه ...

حب المسيح لتلاميذه ، وحفظه لهم ، كان أمراً لازماً .
لأنه إن كان الشيطان قد بدأ يعمل ضدهم ، وأزعج أن يفر بلهم ،
فلا بد من الناحية الأخرى أن يعمل المسيح لحفظهم ... يقوهم ويعزهم ،
ويعدهم للتجربة المقبلة ، بحبه وحفظه ، وبكلامه معهم ، وصلاته
لأجلهم ...

وهذا الحب الذي في قلبه نحوهم ، يشجعنا نحن .
يذكرنا بأننا لسنا وحدنا ، بل أنه معنا كل الأيام وإلى إنقضاء
الدهر ، ويذكرنا بتعزياته الإلهية ، وأعداده لأولاده قبل الضيقة ، كما
يذكرنا بحبة الآب وحفظه لنا .

ويذكرنا أيضاً أن صلاة المسيح قد شملتنا كذلك بقوله :
« لست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين
يؤمنون بي بكلامهم » (يو ١٧ : ٢٠) .

مبارك أنت يارب ، في كل محبتك وحفظك .
نسألك أن تكون معنا ، كما كنت مع تلاميذك ورسلك القديسين ،
بنفس الحب ، ونفس الحفظ ، ونفس الرعاية .

حقاً إن صلاتك قد حفظت التلاميذ . ومع أنهم ضعفوا بعض الشيء ، إلا أن الإيمان بقي ثابتاً فيهم ، لم يتزعزع ... وهذا الإيمان الذي فيهم وصل إلينا ، بكرائزهم ...

واستطاع هؤلاء يارب أن « يأتوا بشمر كثير » كما أوصيتهم (أع ١٥ : ٨) .

كل ذلك كان ببركة آلامك المقدسة ، ومحبتك لتلاميذك وتثبيتك لهم في يوم الخميس الكبير الذي غسلت فيه أرجلهم ، طهرتهم ، ومنحتهم جسدك ودمك ، وجلست إليهم تغزيهم وتقوى إيمانهم .
لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .



كتابان آخران عن أسبوع الآلام
للأببا شنودة الثالث

- هما : ١ - كلمات المسيح على الصليب
٢ - تسبحة البصخة « لك القوة والمجد »
يمكن أن يكونا معك أيضاً في أسبوع الآلام

الكتاب القادم :

اليقظة الروحية

يصدر في بداية الخمسين المقدسة ١٩٨٢ .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٢٨٦٦

فصل الكتاب

أيها القارئ العزيز...
إن تأملنا معاً في أحداث
يوم الخميس الكبير، نواجهنا
ثلاثة أمور هي:

١ - غسل الرب لأرجل
تلاميذه

٢ - تسييه لـ
الإفخارستيا

٣ - اهتمامه بتلاميذه ،
وخطابه الوداعي لهم ، وصلاته
لأجلهم .

وعن تلك الأمور الثلاثة ،
أو عن معانيها الروحية ، يريد
هذا الكتاب أن يتحدث
إليك ...

تراه ماذا سيقول ؟

شعوره الثالث

الشمس ٢٢ قرشاً